البحث التاسع

أدب الرحلة في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الندوي بين العربية والأردية

د. محمد سمير عبد الحميد إبراهيم(*)

(*) أستاذ اللغة الأردية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

obeikandl.com

obeikandl.com

كلمة المؤلف

حين طلب مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض من المؤلف أن يكتب عن أدب الرحلة عند الشيخ الجليل أبي الحسن علي الحسني الندوي، شعر بالغبطة والسرور، وشكر القائمين على المكتب حسن ظنهم بالعبد الفقير، وراحت ذكرى زيارته الندوة تخامره، وتعيد إليه صوراً جميلة لا زال الفؤاد يحتفظ بها رغم مرور السنين، فقد هيأ الله له فرصة السفر مبتعثاً من جامعة القاهرة للحصول على الدكتوراه في اللغة الأردية وآدابها من جامعة البنجاب بلاهور، وبعد أن وفقه الله وانتهى من مهمته، فكر في زيارة شمال الهند لجمع بعض المصادر والمراجع لحملها إلى القاهرة، وزيارة بعض الجامعات ولقاء بعض الأساتذة والعلماء، كان ذلك عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م. وكانت ندوة العلماء في لكهنؤ من أهم الأماكن التي كان يهفو قلبه إليها، وكان اللقاء بالشيخ أبي الحسن الندوي هو الهدف الحقيقي:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وصل المؤلف إلى مدينة لكهنؤ قادماً من مدينة عليكره، ومن محطة السكة الحديد إلى (ندوة العلماء)، إلى عبق التاريخ، حيث نزل ضيفاً على الندوة لأسبوع، شعر فيه أنه يعيش تاريخ المسلمين العظام،... فلا تزال الصورة بداخله رغم مرور ما يقرب من عشرين عاماً، تقابل مع الأساتذة ومع الطلاب، وبحث عن الشيخ أبي الحسن فعرف أنه خارج البلاد.. وتمنى لو بقي بالندوة حتى يلقاه، لكن الظروف لم تكن تسمح له بالبقاء، فغادر الندوة وهو يفكر في مشوار العودة إليها، وأهداه الإخوة بمكتب حراء بعض الكتب ورافقه الأخ سعيد الندوي -الذي يعيش منذ سنوات بالرياض وكان صبياً آنذاك - إلى محطة السكة الحديد، ذكرى طيبة لا تزال تعطر فؤاده فيطرب لها، ويهتز كلما ذكر اسم ندوة العلماء أو من ينتسب إليها. فما بالنا لو ذكر اسم شيخها، شيخ الندوة؟!

لقد سعد المؤلف حين ترجم مقدمة الشيخ أبي الحسن علي الندوي الرائعة لكتاب الشيخ محمد منظور النعماني عن الثورة الإيرانية، وأثبتها مع ترجمته للكتاب[١] وعلم فيما بعد أنها ترجمت إلى العربية ضمن كتاب (صورتان متضادتان في الإسلام)[٢].

وسعد اليوم أكثر حين طُلب منه الكتابة عن أدب الرحلة عند الشيخ أبي الحسن الندوي.. ولا يدعي المؤلف بأنه جدير بالكتابة عن الشيخ، وقد تردد كثيراً قبل البدء في الكتابة، عقد العزم داعياً أن يكون عند حسن ظن الجميع، وخاصة أن الشيخ الندوي معروف ومنذ زمان لدى جميع علماء وكتاب وأدباء العالم العربي والإسلامي بل والغربي أيضاً، ويعتذر المؤلف إن صدر عن قلمه قصور سببه قلة بضاعته من العلم، وقلة مصادره ومراجعه التي حاول أن يتصيدها من أكثر من مكان، من الندوة نفسها عن طريق مكتب الرابطة بالرياض، وعن طريق الأخ سعيد الندوي بالرياض، وعن طريق إخوة له بلاهور يخص منهم بالذكر الشيخ عبيد الحق الندوي صاحب ومدير المكتبة العلمية ومطبعتها، وعن طريق العديد ممن اتصل بهم في البلاد العربية، وعلى كل حال توافر له عدد لا بأس به، وإن كان يهفو إلى المزيد من المصادر والمراجع، والمزيد من الوقت.

تناول هذا البحث سطوراً مختصرة عن حياة الشيخ الندوي ودراسته ومشاغله، ثم صفحات قليلة عن إنتاجه الأدبي والفكري ومكانة أدب الرحلة عنده، وتلا ذلك نظرة على أدب الرحلة عند الشيخ، فدراسة تحليلية لأهم رحلاته طبقاً للترتيب الزمني، وقد وضع المؤلف أمامه معظم المصادر الأردية والعربية التي توافرت لديه، وحاول بقدر استطاعته أن يعبر عن الحقيقة من منطلق منهج علمي، يلقي الضوء على كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي في

(١) طبع عدة طبعات منذ عام ١٩٨٤م وحتى الآن. بدار الصحوة بالقاهرة.

(٢) العنوان هو: صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية عند أهل السنة والشيعة الإمامية.

هذا النمط الأدبي، أي أدب الرحلة، ولم يتوسع المؤلف في ذكر وبيان أنواع الرحلة عند الشيخ، نظراً لأن هدف رحلاته رغم تنوع الأسباب كان الدعوة إلى الله، وإحياء شعور المسلمين داخل الهند وخارجها، مستخدماً في ذلك موهبته الأدبية التي وهبه الله إياها في الكتابة بالأردية والعربية، والله أدعو أن يطيل لنا في عمره وأن يحفظه ويوفقه إلى المزيد من العمل في سبيل رفعة الإسلام ورفعة شأن المسلمين... آمين.

سمير عبد الحميد إبراهيم

أستاذ اللغة الأردية وآدابها

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض: غرة ذي الحجة ١٤١٦هـ

٨ إبريل (نيسان) ١٩٩٦م

obeikandl.com

الشيخ أبو الحسن علي الندوي

مولده وتعليمه:

لم يعرف القراء العرب الشيخ أبا الحسن الندوي إلا عام ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م حين ظهر كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) الذي لقي رواجاً في الأوساط العلمية في البلاد العربية، وقد قدم الشيخ أبا الحسن إلى قراء العربية المرحوم سيد قطب والشيخ أحمد الشرباصي والأستاذ أحمد أمين، ومن الجدير بالذكر أنه حين صدرت الطبعة الرابعة للكتاب عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩/م كانت الطبعة السادسة بالأردية قد صدرت عام ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م.

ولد الشيخ أبو الحسن علي الندوي عام ١٣٣٢ هـ١٩١٣/م في أسرة جليلة، وفي بيت علم، فأبوه هو العلامة الشيخ عبد الحي صاحب كتاب (نزهة الخواطر) الشهير (٨ مجلدات) وأمه سيدة فاضلة وعالمة جليلة، لها عدة كتب ومجموعات شعرية تضمنت أشعار المناجاة والمدائح والدعاء، ولد شيخنا في قرية تكية بمديرية راي بريلي بالقرب من لكهنؤ، وبدأ وهو في الثانية عشرة من عمره يتعلم الإنجليزية والعربية بالإضافة إلى الأردية والفارسية. قرأ كتب الأدب العربي وشغف بها، واهتم بكتاب الحماسة لأبي تمام ودلائل الإعجاز للجرجاني وكليلة ودمنة لابن المقفع، ودفعه حبه للأدب العربي إلى الالتحاق بقسم آداب اللغة العربية بجامعة لكهنؤ، كما درس الأدب العربي على يد الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي في ندوة العلماء، والتحق بالندوة لدراسة علوم الحديث كما مكث لشهور بدار العلوم ديوبند. [1]

---

(١) انظر د. سمير عبد الحميد إبراهيم. الأدب الأردي الإسلامي. نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩١م وأيضاً أبو الحسن الندوي في مسيرة الحياة دار القلم دمشق مجلد١ ط١٩٨٧م ص ٢٧ ذكر الشيخ أنه بدأ دراسة العربية على يد الشيخ خليل بن محمد اليماني (ص٧٧ وما بعدها) كما أشار إلى مطالعة الأدب الأردي (ص٨٠ وما بعدها) واستفادته علمياً من الشيخ السيد محمد طلحة الحسني (ص٨٥) والتحاقه بجامعة لكهنؤ (ص٨٥/٨٦).

ويقال إن أول محاولة أدبية له كانت مقالاً عن سيد أحمد شهيد إمام الدعوة إلى التوحيد والسنة والجهاد الإسلامي، أرسله لمجلة المنار فنشر وعمره لم يتجاوز الثامنة عشرة، يقول الشيخ الندوي:

(نشر العلامة السيد رشيد رضا رسالتي عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بالعربية عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م بعنوان: ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد) [١].

حياته العملية وأسفاره [٢]:

سافر الشيخ أبو الحسن الندوي في مقتبل حياته إلى معظم مدن شبه القارة الهندية (قبل التقسيم). سافر إلى لاهور والتقى بالعلامة المفكر الشاعر محمد إقبال، وذكر لإقبال بأنه ترجم بعض قصائده إلى النثر العربي [٣]، كما التقى الندوي بعدد كبير من علماء لاهور ولازم الشيخ الهلالي وخاصة أواخر عام ١٣٥٠ هـ١٩٣١/م، واتفقا على إصدار مجلة الضياء في مجلس ضمهم والعلامة السيد سليمان الندوي، وأقام الندوي فترة في لاهور، وفي ديوبند، وكان له مع إقبال لقاء طويل في شهر رمضان [٤] عام ١٣٥٦هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٧ في منزل إقبال [٥]، وكان بينه وبين الشيخ المودودي صلة وعلاقة، وقد طلب منه المودودي في أغسطس عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م في رسالة خطية أن تترجم الندوة كتابه (الحجاب) إلى اللغة العربية [٦].

---

(١) طبع المقال فيما بعد وصدر عن المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء في طبعة جديدة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩/م. انظر مقدمة المؤلف لكتابه في مسيرة الحياة بالعربية ج١.

(٢) نختصر الحديث هنا لأن القارئ العربي يستطيع الرجوع إلى كتاب الندوي في مسيرة الحياة والذي صدر أولاً بالأردية ثم صدر بعدها بالعربية وقد قام السيد سلمان الحسيني الندوي بمهمة ترجمة الكتاب من الأردية إلى العربية وهو ابن أخت المؤلف، وقد تصفح المؤلف الترجمة وتناولها بشيء من التهذيب والتنقيح والحذف والزيادة. انظر مقدمة الندوي للكتاب ص٢٦.

(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص٩٢.

(٤) المصدر السابق ص٩٨.

(٥) المصدر السابق ص١٣٠.

(٦) المصدر السابق ص١٦٢ .

وفي لكهنؤ انشغل أبو الحسن علي الندوي بالتأليف والكتابة بالأردية، واتصل بجامعة عليكره الإسلامية، ووضع للجامعة منهج الدراسات الإسلامية، كما ألقى عدة محاضرات بالجامعة الملية الإسلامة بدهلي، وألف كتباً لطلاب المدارس العربية بالهند.

وأصدر مجلة (تعمير) بالأردية، ورأس جمعية للدعوة الإسلامية بين الهنادكة، كما أسس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ أواخر عام ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩م.

بدأ الشيخ أبو الحسن في تأليف كتابه الذي يتحدث عن (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، واستمر هذا حتى عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م وفي هذا العام سافر إلى الحجاز، فالتقى بالشيخ عبد الرزاق حمزة أحد العلماء المصريين وإمام الحرم المكي وخطيبه، وعرض عليه مسودة الكتاب فطالعها وأبدى إعجابه بالكتاب. ويقول الشيخ الندوي: (بعد العودة إلى الهند أرسلته إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر... ولما سافرت إلى مصر سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م كان الكتاب قد شق طريقه إلى الأوساط العلمية) [١].

تأثر الشيخ أبو الحسن علي الندوي فكرياً بالإمام أحمد بن حنبل وبشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ أحمد سرهندي، والشيخ ولي الله الدهلوي وسيد أحمد شهيد والعلامة محمد إقبال، وسافر إلى معظم البلاد الإسلامية والأوروبية سائحاً ودارساً ومحاضراً وخطيباً، وقبل كل هذا وذاك داعياً إلى الله، وتقلد عدة مناصب في جامعات العالم الإسلامي ومجامعها العلمية، ولا يزال حتى يومنا هذا يبذل الجهد في سبيل الدعوة إلى الله، والعمل على رفع شأن الأمة الإسلامية، ورفع المعاناة عن مسلمي الهند، ودعم جهودهم للحفاظ على كيانهم وعقيدتهم، أطال الله في عمره ووفقه.

(١) في مسيرة الحياة ص١٧٦ .

أدب الرحلة ومكانته عند الشيخ أبي الحسن علي الندوي:

يرى أدباء الهند ومفكروها أن العلامة الشيخ أبا الحسن علي الندوي هو بحق خليفة أستاذه سيد سليمان الندوي، نظراً للخدمات التي أدّاها لحركة ندوة العلماء، كما يرون أيضاً أنه امتداد لمدرسة شبلي النعماني وسيد سليمان الندوي الأدبية، فالشيخ الجليل أبو الحسن علي الندوي يقول بالتضامن الإسلامي الشامل، ويؤمن به بل يوجه أيضاً رسالة الإسلام الإنسانية إلى غير المسلمين، فهو داعية يضع نصب عينيه النهضة الإيمانية، ويؤمن بصلاحية الإسلام وأبديته، ويؤمن بالانسجام التام بين الدين والسياسة، وبين الدين والأدب، بالإضافة إلى أنه يتبع منهجاً علمياً سليماً تزينه العاطفة، وهذا واضح من كتاباته في جميع الأنماط الأدبية.

يرى الشيخ أبو الحسن الندوي أن الأدب مثل الحياة تحت ظل الإسلام، ولا يرى الأدب وسيلة للحصول على الثروة، ولنيل السمعة أو التكسب أو التسلية، بل هو رسالة ورسالة سامية، وهكذا تمنى الشيخ أن يسود الأدب الإخلاص والصدق والقوة والحياة والعاطفة والوجدان والخلود، وهكذا جاءت كتاباته سواء العربية أو الأردية فهو أديب اللغتين بلا منازع[1]. وإذا أردنا أن نقدم مثالاً على تفوقه في الأدبين معاً فلنقرأ ما كتبه في روائع إقبال بالعربية، ولنقرأ نفس الكتاب بالأردية بعنوان (نقوش إقبال)، فقد صدر هذا الأدب من داخله، صدر عن عاطفة وعن عقيدة وعن فكر واقتناع، وما أروع الشيخ حين كتب في مختاراته (ص١٠/١٦) موضحاً هذه الفكرة:

(كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة يكتبون لأنفسهم، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم، مندفعين منبعثين، فتشتعل

(١) د. سمير عبد الحميد إبراهيم. الأدب الأردي الإسلامي ص٦٥٧.

مواهبهم، وينبض خاطرهم، ويتحرق قلبهم، فتنهال عليهم المعاني، وتطاوعهم الألفاظ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها لأنها أُخرِجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب...

أما هؤلاء المتصنعون فإنهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين، قد يمثلون الملوك ويضعون أبهة الملك ومظاهره، وقد يمثلون الصعلوك فيتظاهرون بالقوة، وقد يمثلون السعيد، وقد يمثلون الشقي من غير أن يذوقوا لهذه السعادة طعماً أو يكتووا بنار الشقاء. وعلى العكس من ذلك اقرأ ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية في كتبهم، ترى مثالاً رائعاً للكتابات الأدبية الرفيعة، تتدفق قوة وحياة وتأثيراً، ذلك هو الأدب الحي الخليق بالبقاء، ولا سبب لذلك إلا أنه كتب عن عقيدة وعاطفة)[1].

أثرى الشيخ أبو الحسن الندوي الأدب الأردي، والأدب العربي على السواء بكتاباته التي ظهرت باللغتين، وكما ذكرنا بدأ الشيخ ينشر إنتاجه الفكري باللغة العربية عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م حين أصدر كتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وبعدها عرفه العالم العربي، وبدأ الشيخ أبو الحسن يلقي محاضراته هنا وهناك، وعمل أستاذاً زائراً بجامعة دمشق والمدينة المنورة، وعيّن عضواً في أكثر من مؤسسة ومنظمة إسلامية.

ومن هنا جاء إنتاجه الأدبي مكتوباً تارة بالعربية أولاً ثم بالأردية، وتارة بالأردية ثم بالعربية، وهذا يجعلنا نختصر الحديث لأن القارئ العربي يستطيع أن يتعرف على مؤلفات الشيخ من خلال ما نشر بالعربية.

يكتب الشيخ بالعربية، وتصرفه أعماله أحياناً عن نقل ما كتب إلى الأردية، فيتولى أحد العاملين بالندوة ذلك، مثلما حدث حين نشر بعض مقالاته

(١) مجلة البعث الإسلامي مجلد ١٢٩ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ مقال بعنوان: تطور الأدب الإسلامي، لشمس تبريز خان تعريب سردار أحمد.

بالعربية عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م عن سيد أحمد شهيد في مجلة (المسلمون) ثم انشغل لفترة طالت لسنوات، وعاد مرة أخرى للكتابة في الموضوع نفسه، ونشر كتابه (إذا هبت ريح الإيمان) ولقي الكتاب رواجاً في العالم العربي كله، ثم قام الشيخ محمد الحسني بنقله إلى الأردية معتمداً على الكتاب الأصلي للمؤلف الذي صدر بالأردية تحت عنوان سيرة أحمد شهيد في جزأين، وهو نفسه مصدر الكتاب العربي، وهكذا نشر الكتاب بالأردية مترجماً عن العربية (حبب إيمان كي بهار آئى) ونشر عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م [١].

وهذا بالنسبة لبعض أعماله الأخرى [٢].

وبالنسبة لأدب الأسفار والرحلات صدر للشيخ أبي الحسن (مذكرات سائح في الشرق العربي) ونشر بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٤م كما صدر كتابه (من نهر كابل إلى نهر اليرموك) في بيروت عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م. ومن الجدير بالذكر أن الطبعة الأردية لهذا الكتاب صدرت قبل ظهور الطبعة العربية وتختلف الطبعتان، فالطبعة العربية تخلو من الأشعار الفارسية الموجودة في الطبعة الأردية، وقد اكتفى المؤلف في الطبعة العربية بما أورده فيها من أشعار عربية، ونقل الكتاب إلى الأردية نور عظيم الندوي.

صدر للشيخ الندوي نوع يمكن أن نطلق عليه أدب الرسائل، وإن كان يدخل ضمناً في أدب الرحلات، ولنطالع كتابه: (كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية) الذي صدرت طبعته بعد سنتين من صدور الطبعة العربية وجاءت بعنوان (حجاز مقدس اور جزيرة عرب اميدون اور انديشون كى درميان) أي الأراضي الحجازية المقدسة وجزيرة العرب بين الآمال والمخاوف) [٣].

---

(١) مقدمة الطبعة الأردية، مجلس نشريات اسلامي ط. كراتشي.

(٢) انظر الأمثلة في الأدب الأردي الإسلامي ص٦٦٥ وما بعدها. ومقدمة كتاب منصب نبوت أوراسكا عالى مقام كي حاملين، ومقدمة كتاب تعمر انسا نيت، وكتاب معركة إيمان وماديت، ومقدمة كتاب مسلم مالك مين اسلاميت اور مغربيت كي كش مكش.

(٣) الأدب الأردي الإسلامي ص٦٦٥ .

دأب الشيخ أبو الحسن الندوي على تنقيح كتاباته وتصحيحها، وإضافة معلومات جديدة عليها، ومعظم كتبه كانت مجرد فكرة نشرها في مقال، فكانت الرحلة إلى هنا أو هناك دافعاً له لإعادة التفكير في الكتابة بالتفصيل عن الموضوع ذاته.

فكتابه الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية كان مقالاً كتبه في فبراير ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م بعنوان (موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية) وبعد سنوات وكما يقول المؤلف نفسه:

(أتيح لي السفر إلى أوروبا ورأيت مركز هذه الحضارة ومعقلها عن كثب، واستفدت من هذه الرحلة في الاطلاع على بعض المصادر العلمية الحديثة، فقدمت كتاباً جديداً ينشر الآن تحت عنوان (الصراع بين الفكرة.. إلخ) وقد صدرت طبعة أردية للكتاب بعنوان (مسلم ممالك مين اسلاميت اور مغربيت كي كش مكش) وقد ساعد الشيخ في إخراج الطبعة العربية الأساتذة سعيد الأعظمي ومحمد الندوي ومحمد الحسني، بينما ساعده في إخراج الطبعة الأردية، وترجمة الاقتباسات الطويلة إلى الأردية الدكتور آصف قدوائي والدكتور عبد القوي.

الشيخ أبو الحسن الندوي وأدب الرحلة

إذا قلنا إن الرحلة في حياة الشيخ أبي الحسن الندوي هي الدافع لمعظم كتاباته، فربما لا يجانبنا الصواب في هذا القول، فالندوي عالم جليل، عالم متبحّر في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، حرص على أن يضيء مشعل الحضارة الإسلامية في الهند بنور التعليمات الإسلامية الأصيلة والمضي على درب سنة الرسول ﷺ، ولهذا اهتم كثيراً ببيان هذا الهدف في رحلاته خارج البلاد، والأمثلة على ذلك كثيرة سنوردها فيما بعد.

فالشيخ منذ بدء حياته العملية بل وقبلها، يسافر داخل الهند إلى هنا وهناك طلباً للعلم، ولقاء العلماء والتعرف على أحوال البلاد والعباد، كانت له رحلة تاريخية إلى بشاور عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٤م[١] ثم كانت له رحلتان للحج عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م و١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م، وكانت له رحلة إلى سوريا عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٦/م، ورحلة إلى تركيا، وأخرى إلى لبنان وإلى فلسطين، وكان قبلها قد ارتحل إلى مصر والسودان عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م كما زار بغداد في طريقه إلى كراتشي.

وللشيخ أيضاً رحلة إلى بورما ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ورحلة إلى الكويت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٢م.

أما رحلاته للجزيرة العربية فكثيرة نظراً لوضعه الخاص، ومكانته بين علماء العالم الإسلامي، وعضويته للعديد من المؤسسات والهيئات الإسلامية.

وكان للشيخ رحلات إلى أوروبا بدأها في ١٣٨٣هـ/ سبتمبر ١٩٦٣م[٢]. زار خلالها جنيف ولوزان وباريس ولندن وكمبردج ومدن إسبانيا، والتقى في سفره بالعلماء والمستشرقين، وعاود الرحيل إلى أوربا سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، فسافر إلى جنيف وبرلين وآخن وميونيخ ثم عرج على إستانبول فدمشق وكراتشي عائداً إلى الهند وسافر إلى أمريكا مروراً بأوروبا سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م حيث قضى شهرين [٣].

ثم تعددت أسفاره إلى البلدان العربية بعد عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م فسافر إلى دمشق وبغداد وشرق الأدرن وإلى دبي والمغرب والجزائر، كما سافر إلى أفغانستان وباكستان وإلى سري لانكا (سيلان) وغيرها [٤].

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص١٩٥ .
(٢) نفسه ص٢٩٨.
(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٩٧.
(٤) نفسه ص٣٢٥-٤٧١ والجزء الثاني من في مسيرة الحياة.

دراسة نقدية تحليلية لأدب الرحلة عند الشيخ أبي الحسن الندوي

من خلال قراءة ما كتب العالم الجليل الشيخ أبو الحسن الندوي يتضح أنه عشق السفر، لا للسياحة، ذلك لأن الإسلام الدين الحنيف يدعو إلى السفر طلباً للمعرفة وطلباً للعلم، ونشراً لدين الله الحنيف بين الناس، وهكذا جعل الإسلام السفر تراثاً ليتصل بالتاريخ الإسلامي لدى جميع الشعوب الإسلامية، والتاريخ الإسلامي له مكانة خاصة لدى شيخنا الندوي، ومن هنا كان السفر والارتحال جزءاً أصيلاً من فكره، وكان السفر والارتحال هو الدافع لمعظم كتاباته بلا مبالغة.

وإذا كانت كتب الرحلات تقدم قصصاً وحكايات قد يكون بعضها حقيقياً وبعضها من نسيج الخيال، إلا أن الأمر يختلف عند شيخنا، فهو لا يقدم حكاية ولا قصة، بل يقدم رسالة سامية تحمل هدفاً سامياً وهو الدعوة إلى الله، ورفعة شأن المسلمين.

لقد تعددت أسباب الرحلة وتنوعت، وقسم البعض الرحلات إلى أقسام عديدة وصلت أحياناً إلى خمسة عشر قسماً[1] إلا أن أهم الرحلات كانت رحلات الحج، ورحلات الدعوة والتبليغ، ورحلات العمل خارج الوطن أو جمع تبرعات لأهداف دينية، ورحلات علمية الهدف منها طلب العلم، وهو سبب من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للرحلة.

وإذا كنا نبحث عن أسباب الرحلة لدى شيخنا الندوي، فإن طلب العلم كان من الأسباب الرئيسة التي دفعته للرحلة خارج وداخل شبه القارة الهندية، كما كانت رحلة الحج رحلة تاق إليها قلبه منذ صغره كما سيتضح لنا بعد ذلك، وإذا كان قد ارتحل لأداء مهمة عمل بجامعة أو مؤسسة فإنه حوّل هذه المهمة إلى هدفه الأساسي وهو الدعوة إلى دين الله، وهذا واضح من خلال الكتب

(١) د. حسين نصار. أدب الرحلة. مكتبة لبنان ص١٩/٢٠ وما بعدها.

التي صدرت بعد فترة الرحلة التي كان هدفها الظاهري عمل ما أو القيام بمهام علمية هنا أو هناك، فلم تكن للرحلة الشخصية، التي يقوم بها الشخص حباً منه في السفر والترحال، ورغبة منه في التمتع بالحياة، مجال في حياة شيخنا. فهو يسافر لهدف ويسافر لغاية، وإلا فالأعمال في موطنه تحتاج إليه دائماً. وكان الشيخ يتجول أحياناً عبر التاريخ، يغمض عينيه، وتتراءى أمامه صور الماضي، عظمة الإسلام، ويظل يطالع هذا التاريخ حتى ينتبه إلى الواقع، وكان الشعور التاريخي لا يفارق شيخنا أبداً، وقد اعترف بهذا حين قال:

(عفا الله عن المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ إنهم لا يفارقهم الشعور التاريخي والتفكير التاريخي مكان طاهر (يقصد المسجد النبوي) إنهم أينما كانوا يعيشون فيما درسوه ويصلون الحاضر بالماضي)[1].

ويجول الشيخ في أعماق التاريخ، رحلة في الخيال:

(حانت مني التفاتة فرأيت فريقاً يدخل من باب جبريل -وهو أقرب الأبواب إليّ- عليهم السكينة والوقار، يعلوهم نور العلم وسيماء التفكير، وقد ملؤوا الرحاب بين باب جبريل باليسار إلى باب الرحلة باليمين، منعت كثرتهم عن العد والتشخيص، سألت البواب عنهم، فقال: هؤلاء أعلام الأمة وأئمة العلم وعباقرة الإنسانية ونوابغ الوجود وكل واحد منهم إمام أمة ومؤسس مكتبة.. وقد سمى منهم على عجل واحتشام، مالك بن أنس، وأبا حنيفة النعمان، ومحمد بن إدريس الشافعي وأبا عبد الله أحمد بن حنبل.. و.. و.. وتقي الدين بن تيمية.. وأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي على تفاوتهم في الزمان والمكان وأصالة العلم وعلو الشأن..

(١) أبو الحسن الندوي، الطريق إلى المدينة. المجمع الإسلامي لكهنؤ ط. الخامسة ١٩٨٧ ص٣٥.

رأيتهم بدؤوا بتحية المسجد وصلوا ركعتين في خشوع وقنوت.. ولم أكن قد قضيت لبانتي من هذه الجماعة، حتى لفت نظري فريق آخر يدخل من باب الرحمن عليهم سيما الصلاح والعبادة، وفي وجوههم أثر التقشف والزهادة..

ولم أستوف كلماتهم الحكيمة حتى لفت نظري فريق يدخل من باب النساء في حشمة وتستر..).

ويظل المؤلف ينظر ويشاهد جماعات وجماعات، ويستمع إلى دعائهم ومناجاتهم حتى انتبه على صوت المؤذن يرتفع عالياً على منابر مسجد رسول الله ﷺ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر..

(وأفقت من غفوتي، وما كنت أسبح فيه من عالم الخيال والتاريخ، وإذا بي أمام الواقع رجال في الصلاة ورجال في تلاوة القرآن، وجموع من المسلمين ووفود من العالم الإسلامي، وخليط من الأصوات والانطباعات والعواطف) [١].

وهكذا يرتحل الندوي في التاريخ ويدون مشاهداته لنا، وقد دوّن أيضاً مشاهدات إقبال في رحلته إلى جزيرة العرب، وكان شيخنا حريصاً على ذلك أشد الحرص لأنه كان يشعر بنفسه مكان إقبال، واتحدت مشاعر الأديبين معاً، ولهذا حرص الندوي على أن يحكي رحلة إقبال، وهو قادم إلى مدينة رسول الله ﷺ، وخاصة أن إقبالاً كان كلما ذكرت المدينة فاضت عينه وانهمرت الدموع منها، فلم يقدر له الحج وزيارة مسجد الرسول لمرض ألمّ به ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي [٢].

وهكذا دخل الندوي مجال تدوين الرحلة الخيالية، سواء رحلة قام بها هو أو قام بها غيره، كما أن رحلاته إذا ما تعددت أهدافها إلا أنها اتحدت كلها

(١) الطريق إلى المدينة ص٣٦-٤٧ .

(٢) الندوي، الطريق إلى المدينة ص ٢٢-٣٤، وانظر سمير عبد الحميد إقبال وهدية الحجاز ط٢ تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

في هدف واحد هو الدعوة الإسلامية، وهذا يتضح من بيانه للأمور التي اعتنى بها، والمنهج الذي سلكه في تدوين الرحلة، فهو لم يهتم بالأمور الجغرافية أو الاقتصادية إلا قليلاً، وركز على الأمور الثقافية والاجتماعية والحضارية، فنراه يذكر الأحوال العلمية في البلاد التي زارها ويذكر العلماء والأدباء والمدارس، وحلقات الدرس والأدب والجامعات، والمؤسسات التعليمية والثقافية وما إلى ذلك.

أما عن لغة الرحلة فماذا نقول؟ إن شيخنا لأديب يشهد له الجميع إذا ما كتب بالأردية أو بالعربية، ولهذا ساد الطبع الأدبي كتاباته، وزخرت مادة رحلاته بالعناصر الأدبية، مما يجعلنا نطلق هنا على كتاباته: أدب الرحلة، فرحلاته صدرت على مستوى أدبي رفيع ضمنها الأشعار والأمثال والحكم، وأدمج في سطورها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، التي ربما احتاج إليها للتعليق على موقف، أو الفصل في قضية ما.

وعادة ما كانت المشاعر الفياضة تغلب على شيخنا، فتفيض على أسلوبه، فتأتي لغته العربية أو الأردية رفيعة المستوى، عظيمة التأثير والإمتاع، مما يجعل لرحلاته قيمة أدبية، نظراً إلى روعة الأسلوب الذي يصل بها إلى مستوى الخيال الفني في معظم الأحيان [1].

انطلاقاً مما سبق لا نرى ضرورة لتقسيم رحلات الشيخ الندوي طبقاً للموضوع، لأن موضوع رحلاته كما ذكرنا، كان رغم اختلاف الوسيلة، هو الدعوة إلى الله، والدعوة إلى استعادة الأمجاد القديمة، ومن هنا سنحاول اتباع الترتيب التاريخي قدر الإمكان لعرض نماذج من كتابات الشيخ في رحلاته المختلفة.

---

(١) سمير عبد الحميد. مقدمة كتاب الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. تحت الطبع، (وقد صدر الكتاب سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

الرحلة الحجازية

الرحلة الحجازية الأولى:

لقد توزعت رحلات الشيخ ما بين الكتب التي صدرت بالعربية، والكتب التي صدرت بالأردية. وقد حاولتُ جاهداً على قدر إمكانياتي المتواضعة، وما أتيح لي من مصادر أردية وعربية، أن أحيط بما كتبه الشيخ في مجال الرحلات، ولم يكن الأمر بالسهولة التي تخيلتها، لأن آراء الشيخ وأفكاره ومشاهداته وانطباعاته كما ذكر هو -وهو محق فيما ذكر- (مبعثرة في كثير من مقالاته ومحاضراته ومؤلفاته، التي بلغت أكثر من خمسة وسبعين مؤلفاً) (١).

وهكذا حين بدأت أطالع رحلة الشيخ إلى الحج، والتي طبعت بالأردية في مجلة قومي دائجست مجلد ١١ عدد خاص بالحج بعنوان (مركز جلال وجمال ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧) (٢)، وبدأت أترجم بعض سطورها، أحسست أنني قرأت هذا الكلام بالعربية قبلاً فرجعت إلى ما لدي من مصادر عربية ووفقني الله في العثور على بعض الصفحات من الرحلة في كتاب (الطريق إلى المدينة) تحت عنوان (في مهد الإسلام). حديث أذاعته محطة دهلي الهندية في سلسلة أحاديث تحدث فيها المؤلف عن مشاهداته وانطباعاته على إثر زيارته للشرق العربي عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م (٣)، ثم وجدت أيضاً الترجمة العربية لبعض الصفحات في كتاب (في مسيرة الحياة) تحت عنوان (الرحلة إلى الحجاز والإقامة بالحرمين الشريفين) (٤).

---

(١) أبو الحسن الندوي في مسيرة الحياة. دار القلم. دمشق، ط١ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص٢٥ وقد اطلعت على ورقة أعدها الأستاذ عبد الرحمن الباني سنة ١٤١٦هـ، وتتضمن قائمة بآثار الشيخ العلمية ومؤلفاته العربية، ووصل عددها ١٢٢ عنواناً والقائمة تحتاج إلى تأصيل مع ذكر مكان النشر وتاريخه.

(٢) ص ١٧٧ وما بعدها.

(٣) ص٦٨ وما بعدها.

(٤) ص ١٩٥ وما بعدها.

وأثبت هنا الترجمة العربية نقلاً عن الأردية، وللقارئ الرجوع إلى كتاب الشيخ الندوي في مسيرة الحياة، وإلى كتابه الطريق إلى المدينة المنورة للوقوف على النص العربي لبعض صفحات الرحلة الحجازية التي كتبها الشيخ الندوي.

(في أواخر يونيو عام ١٩٤٧م شعبان١٣٦٦هـ أشار عليّ شيخ الحديث العلامة محمد زكريا بالاستعداد للسفر إلى الأراضي الحجازية بنية الحج والدعوة والتبليغ فقررت أن أصطحب معي والدتي وزوجتي، وقرر شيخ الحديث -بناء على بصيرته المنيرة التي وهبه الله إياها، وتجربته وخبرته الطويلة- أن يكون معي في سفري هذا من يجعلني لا أفكر في أمور المعيشة اليومية، حتى أتمكن من التفرغ تماماً لهدفي الرئيسي، وهكذا اخترت ابن أختي مولوي سيد محمد الثاني الذي يتولى -من قبل- مساعدتي في أموري المتعلقة بالتأليفات العلمية والدينية، ثم أضيف إلى هذه القافلة الصغيرة شخصية أخرى عزيزة علينا هي شقيقتي (سيدة أمة الله تسنيم).

لا شك أن كل مسلم يتمنى ويشتاق ويتوق إلى أداة فريضة الحج، لكن مطالعة السيرة النبوية، وشغفي بها، ودرسي للحديث وحبي للغة العربية، كل هذا جعل غاية مرامي وأمنيتي القدوم إلى الحرمين الشريفين، ولا أزال أتذكر أنني كنت حين أشاهد العربات التي تجرها الخيول تنطلق بسرعة من أمين آباد إلى محطة السكة الحديد، كان قلبي يمتلىء بالأماني، وأظل أفكر: هل سيأتي هذا اليوم الذي سأذهب فيه أنا أيضاً إلى المحطة في طريقي إلى الحج ؟! وفي النهاية جاء اليوم، وكما يقول الشاعر:

رحنا نعد الأيام تحسُّباً لذلك اليوم

في ذلك الوقت كان قد مرّ عام على فتح طريق الحج بعد إغلاقه بسبب الحرب العالمية الثانية، ولهذا حصلنا على تصريح لاختيار الميناء الذي سنسافر منه، وكان للجميع مطلق الخيار، فمن أراد السفر من بمباي كان له ما أراد،

ومن أراد السفر من كراتشي كان له ما أراد، كان ذلك قبل تقسيم شبه القارة إلى هند وباكستان.

واخترت ميناء كراتشي، وكنت قد تعرفت في «نظام الدين» على حاجي عبد الجبار الدهلوي، وهو من كبار التجار في مدينة كراتشي، وهكذا بدأت الرحلة من لكهنؤ في السادس والعشرين من يونيو، ومنها إلى لاهور حيث غيّرنا القطار للتوجه إلى كراتشي، كانت الاضطرابات الطائفية قد بلغت ذروتها، فلم يبقَ على تقسيم البلاد إلا أقل من شهر ونصف، ولهذا لم أتمكن من مقابلة الشيخ أحمد علي في لاهور، وبقيت في كراتشي أحد عشر يوماً قام بخدمتنا خلالها حاجي عبد الجبار وأخوه حاجي عبد الستار وأنجالهما وأهل بيتهما الكرام، ولم يقصروا أبداً في ضيافتهم لنا.

وفي التاسع من يوليو ركبنا الباخرة (إسلامي) - وهي من بواخر شركة (مغل لاين) من كراتشي متجهين إلى جدة، وكنا اشترينا تذكرتين درجة أولى، وبهذا حصلنا على التسهيلات الخاصة (بكابينة) بأكملها، وكان بجوار هذه الكابينة كابينة القنصل البريطاني العام في جدة، وشهجهان أمير كبير الذي تعرفت عليه أثناء حضور دعوة مير غلام على تالبور وزير السند، وفي هذا السفر شهدت وقائع غيبية تتعلق براحة والدتي العجوز ومرافقيها، عرفت أنها نتيجة لكرم الله تعالى ولطفه الخاص بنا... فبالقرب من كبائن الدرجة الأولى بدأ اجتماع النساء في صالة المكتبة، وقامت شقيقتي [1] بإلقاء محاضرة في هذا الاجتماع النسائي، مما أوجد لها مكانة طيبة واحتراماً كبيراً في قلوب

(١) تحدث الشيخ أبو الحسن عن وفاتها في كتابه في مسيرة الحياة ج١، وذكر أن أخته الكريمة العالمة الفاضلة سيدة أمة الله تسنيم توفيت في ٢٨ يناير ١٩٧٦م، لقد كانت صالحة عابدة مؤلفة فاضلة، شاعرة أديبة، ترجمت كتاب رياض الصالحين للإمام النووي إلى الأردية وألفت عدداً من الكتب الأخرى للأطفال وكانت تقيم ندوة دينية أسبوعية للنساء. ومن شعرها في الدعاء لله قولها: (بقيت سحابة النهار واقفة مستجدية متلهفة. وها قد حان وقت الأصيل، لقد جرت عادة الكرام الأسخياء العطف على المتسولين في آخر النهار، يا ربي يا كريم، ارحمني لا تردني خائبة، فإن لم أكن أستحق ذلك لفضل فيّ، فها هي رحمتك وسعت كل شيء) ص ٢٦٣/٢٦٤ .

السيدات الذاهبات إلى الحج، والكابينة المتصلة بكابينتنا كان فيها أحد تجار عائلة (ميمن) من بمباي وهو (حاجي أحمد) الذي يطلقون عليه (ملك تجارة ألعاب الأطفال).

كان حاجي أحمد مسافراً مع أسرته، فتوطدت العلاقات بين شقيقتي وبين جميع أفراد أسرته، حتى إنهم راحوا كل وقت يهتمون بخدمتنا ورعايتنا، وظلت علاقتنا مستمرة مع هذه الأسرة الطيبة لسنوات وسنوات بعد انتقالهم إلى كراتشي[1].

وصلنا إلى جدة في ١٩ يوليو (١٩٤٧م/٢٩ شعبان ١٣٦٦هـ) ولا أستطيع أن أصف مشاعري حين وطأت قدماي أرض جدة، أما عن حالة والدتي والسرور الذي ملأ فؤادها فهو أمر عجيب يصعب وصفه. ولما كان بيننا وبين وقت الحج ثلاثة أشهر، لهذا قررنا أن نقضي هذه المدة في المدينة المنورة، شاهدنا هلال رمضان المبارك في جدة وصمنا يومين أيضاً في جدة، خرجنا ليلة رؤية الهلال أنا وعزيزي محمد الثاني إلى السوق لشراء لوازم السحور، وهناك سمعنا من ينادي بصوت جميل: تمر تمر يا صائم، تمر تمر يا صائم، كان النداء يصدر بلهجة خاصة، تأثرنا كثيراً بصداها العذب، وحينئذ قدّرنا مدى ما يطرأ على أصحاب القلوب من رقة وشفافية، حين يستمعون إلى الأشعار المفعمة بالشوق والحرقة، وفي الليلة التالية جاءت الحافلة التي ستقلنا إلى المدينة المنورة... قطعنا الطريق في يوم وليلتين، ولا يمكنني هنا أن أعبّر

(١) لم ترد الصفحات السابقة في كتاب في مسيرة الحياة تحت عنوان رحلتان للحج. وهذه هي السطور التي وردت تحت عنوان الرحلة إلى الحجاز والإقامة بالحرمين الشريفين: (سافرنا ١٩ من شعبان عام ١٣٦٦هـ الموافق ٩ يوليو عام ١٩٤٧م بالباخرة الإسلامية من كراتشي إلى جدة.

وصلنا جدة في ٢٩ من شعبان الموافق ١٩ يوليو وقد شعرنا لدى نزولنا على ميناء جدة بسرور ولذة غامرة وكيفية عجيبة قد يشعر بها السعداء المحظوظون في الحرمين الشريفين، وكانت السيدة الوالدة في حالة عجيبة من السرور والاستبشار..) إلخ ص١٩٥ وما بعدها.

عن مدى السرور وما طرأ على قلوبنا من رقة، ونحن نمضي على هذا الطريق، ويحضرني هنا فقط بيتان من الشعر الأردي كانا يجريان على لساني رغماً عني:

باد نسيم آج بهت مشكبار هي

شايد هواكي رخ به كهل زلف يا رهي

وه ايك بار ادهر سي كئى مكر ابتك

هواكي رحمت برورد كار آتى هي

«هواء النسيم اليوم مفعم بالمسك والطيب.. لعلها تناثرت تجاه الريح القادم إلينا.. خصلات شعر الحبيب.. مرّ من هنا مرةً ولكن: لا تزال حتى الآن نسمات الرحمة الإلهية تحف بنا، تنثر علينا الورود والطيب...»

حين وصلت إلى المدينة المنورة، صليت قبل كل شيء ركعتين، وشكرت الله على نصيبي من هذه السعادة الغامرة، ثم قدمت فسلمت على رسول الله ﷺ، وشهدت أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وهدى الأمة إلى الطريق القويم، واتجهت بعدها إلى جنة البقيع... فقرأت الفاتحة، ثم اتجهت ناحية أُحد وتذكرت أحاديث الرسول ﷺ.

وفي المدينة التقيت بالشيخ الجليل سيد محمود أحمد مدني [1]... وفي المدينة وعلى بعد عدة أقدام من باب جبريل، توجد مكتبة عارف حكمت الشهيرة، وهي خزانة عامرة بالمخطوطات ونوادر الكتب، والقائم عليها رجل تركي فاضل يدعى الشيخ إبراهيم قدم إلى الهند منذ فترة بعيدة، وأقام في

(١) تم حذف بعض السطور في الترجمة في مواضع النقط بهدف التلخيص اردو دائجست مجلد ١١ عدد خاص بالحج. ص١٧٩ .

الندوة (ندوة العلماء) وفي دار المصنفين (أعظم كره) عدة أيام، وبينه وبين الشيخ مسعود علي الندوي علاقات طيبة، وقد دعانا ذات يوم فلبينا الدعوة، وذكر لنا أن المكان الذي توجد فيه المكتبة هو بيت جدكم حسن المثنى ابن سيدنا حسن بن علي رضي الله عنه، وهذا الأمر ثابت بالمستندات التاريخية، فأقيموا هنا ليلة، وقبلنا عرضه الطيب، وهكذا أقامت الوالدة مع شقيقتي في قسم النساء، وأقمت أنا ومحمد الثاني على السطح..

وأقمنا ليلة في بيت الشيخ سيد محمود أحمد، وهو متصل بالمكان الذي استشهد فيه مجاهدو أُحد، وهناك مسجد صغير بناه الأتراك قريب من مرقد سيدنا حمزة رضي الله عنه، وهنا قمت بتلخيص ما ورد في (زاد المعاد) عن غزوة أُحد.

بعد أن قضينا بالمدينة شهرين ونصف، سافرنا إلى مكة المكرمة، والمشاعر التي انتابتنا حين دخلنا من باب السلام إلى الحرم لا يمكن الكتابة عنها ولا يمكن وصفها لأنه لا يعرفها إلا من ينال شرف المرور بهذه التجربة.

أقمنا أيام الحج في محلة الشامية (رباط تونك) وهو بعيد إلى حد ما عن الحرم الشريف، وكانت الوالدة ضعيفة لكن الله سهّل لنا كل صعب.. قدم إلينا أحد الأصدقاء، وأصرّ على أن ننتقل من الرباط إلى المدرسة الفخرية العثمانية، ومبناها أمام باب إبراهيم مباشرة، وأصبحنا وكأننا داخل الحرم الشريف...

وبعد الحج قضينا مدة طويلة قاربت الثلاثة أشهر قضيناها وكأننا فعلاً داخل الحرم الشريف) [1].

(١) قومي دائجست حج نمبر ص ١٨٠.

بعد أن حكى الشيخ الندوي مسيرة الرحلة، راح يذكر خواطره حين كان طفلاً، وقد عثرت على الترجمة العربية للصفحات الأردية التالية، والتي يتحدث فيها عن مشاعره تلك عثرت عليها في كتاب الطريق إلى المدينة تحت عنوان في (مهد الإسلام) [١]، ولهذا أقتطف بعض الصفحات من الترجمة العربية الرائعة للنص الأردي (حج نمبر ص١٨٠/١٨٢) مع تبديل بعض العبارات محافظة على ترتيب النص الأردي:

(نشأت شأن أولاد المسلمين في بيئة لا ينقطع عنها ذكر الحجاز وبلديه المشرفين، وكان أهل البلاد دائماً ينطقون بسرعة اسم مكة والمدينة بدون حرف عطف، فيخيل إليّ وأنا طفل صغير أنهما بلد واحد، وكلما ذكروا مكة ذكروا المدينة وكذا بالعكس، فلم أميز بينهما إلا بعد ما كبرت سني وصرت أعقل، وعرفت أنهما بلدان مستقلان بينهما مسافة لا يستهان بها.

لقد سمعت في صغري عن الجنة ونعيمها، وسمعت بنفس الحنين وبنفس الإجلال عن الحجاز وبلديه، فنشأت على الحنين إلى المجموع، نشأت على الحنين إلى الجنة والحجاز. فلما تقدمت في السن عرفت أن الجنة لا سبيل إليها في هذه الحياة فصبرت وتجلدت وعزيت نفسي، أما الحجاز فقالوا الوصول إليه ميسور، وقرأت أن قوافل الحجاج غادية رائحة فلم أجد عنه عزاء، ولم أجد لنفسي عذراً في عدم الوصول إليه، ثم تقدمت بي السن أيضاً وقرأت سيرة الرسول ﷺ وتاريخ الإسلام، فتجدد الشوق القديم، واشتعل الحنين في الضلوع وحقق الله أمنيتي وتشرفت بالحج والزيارة...).

ويمضي المؤلف الجليل فيتحدث عن مكة ويقول [٢]:

(أما لولا مكة لتجردت الإنسانية من أجمل ما عندها من معان وحقائق وعقائد وأخلاق وعلوم وفضائل، هنا وجد العالم إيمانه الذي فقده منذ قرون،

(١) ص ٦٨ وما بعدها.
(٢) الطريق إلى المدينة ص٦٩.

ووجد العلم الصحيح الذي ضيعه في غياهب الجهل والظنون، ووجد الكرامة التي أهدرها الطغاة والظالمون، وبالإجمال هنا وجدت الإنسانية من جديد ووضع التاريخ من جديد) (١).

ويمضي المؤلف فيحكي عن زيارته للمدينة، وزيارته لجبل أُحد، وهنا يتضمن حديثه ما حذفناه قبلاً (انظر الصفحات السابقة مكان النقط ص ١٦٢).

(وتوجهت إلى أُحد تلك القطعة التي مثلت أروع رواية وأعظمها تأثيراً على تاريخ الإنسانية، رواية الإيمان واليقين، رواية البطولة والوفاء، رواية الحب والولاء النادر، وكأني أسمع مع أنس بن النضر (إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد) ويقول سعد بن معاذ (ماذا تصنع بالحرب بعد محمد ﷺ وقد طار في الناس أنه قتل، فيقول أنس: ماذا نصنع بالحياة بعد محمد ﷺ...إلخ) (٢).

وهكذا توزعت كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي بين مؤلفاته المختلفة، حتى الرحلة الواحدة نجدها في أكثر من موضع في أكثر من كتاب، وهو أحياناً يحيل القارئ إلى مصدر آخر وعن نفس الرحلة. وعودة إلى ما نقلناه من كتابه في مسيرة الحياة نكمل هذه السطور: (... كان اليوم الأول من رمضان وكنت أصلي التراويح بالناس في ساحة، إذا بالحافلة للمدينة قد وصلت فركبنا مع رفقتنا الحجاج الذين جاؤوا مع جماعة التبليغ من ميوات ومراد آباد وسرنا على بركة الله، واستغرق هذا السفر يوماً وليلتين، ولا نستطيع أن نعبر بالألفاظ والكلمات عن الأشواق والسرور واللذة التي عشناها، ويمكن أن يقدر ذلك من مقالي بعنوان في مدينة الرسول (كتاب الطريق إلى المدينة) أو من تلك الرسائل التي بعثت بها إلى الشيخ محمد زكريا في أثناء تلك الأيام...) (٣).

---

(١) نفسه ص ٧٠.

(٢) المصدر السابق ص٧٣/٧٤ وانظر أردودائجست حج نمبر ص ١٧٩ النص الأردي.

(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص ١٩٥/١٩٦.

وبالرجوع إلى كتاب (الطريق إلى المدينة ط٥ عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م لكهنؤ) يجد القارئ أن الشيخ الندوي يحيله إلى مقال بعنوان (محمد إقبال في مدينة الرسول ﷺ). (ص١٢ وما بعدها) [١].

أهداف الرحلة الحجازية الأولى:

كان هدف الدعوة إلى الله هو أساس كل سفر وأساس كل حركة أو نقلة للشيخ، وهكذا طبع مقاله: إلى ممثلي البلاد الإسلامية، وبادر بإرساله إلى قاضي كامران على أثر توقف الباخرة على خلاف العادة هناك، كما أرسله إلى كبار العلماء هناك، وجاءته رسالة شكر وتقدير من القاضي، أما عن مهمته في الحرمين فيقول عنها:

«كانت منطقة الحرمين حينئذ لم تدخل أسواقها الكتب الدعوية الإسلامية إلا القليل الذي يستطيع أن يحرك ساكنهم، ويجمع بين الحديث إلى القلب والحديث إلى العقل، فيضرب على أوتار القلب ويؤثر في العقل في وقت واحد، إنما كانت هناك إما رسائل وكتب كلامية تتعلق بمسائل الصفات وغيرها، أو كتب علمية قديمة تتناول المباحث الفقهية، وهي كتب يزهد فيها الشباب المثقفون وأصحاب الذوق الأدبي..فكانت رسالة (إلى ممثلي البلاد الإسلامية) نموذجاً جديداً للأدب الإسلامي الدعوي.. فيها حرارة واندفاع ولوعة قلب وحرقة نفس.. وأذكر أن أحد كبار علماء نجد والحجاز ومدرسي الحديث في المسجد النبوي الشيخ محمد علي الحركان، الذي كان يدرس سنن أبي داود أو صحيح مسلم، وقف درسه يوماً وقرأ هذه الرسالة بنفسه على طلابه».

(١) وهذا يؤكد على أهمية إعادة تصنيف كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي على ضوء كتابه في مسيرة الحياة، ومحاولة جمع كتاباته المبعثرة مقالات كانت أو كتباً.

ويذكر الشيخ الندوي (أنه ركز على العمل الدعوي في أوساط العلماء، وعقد اجتماعاً كل جمعة بعد صلاة الجمعة في قاعة مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة بالإضافة إلى جولات هنا وهناك[١].

ويذكر الشيخ الندوي (أنه كان من ثمار الإقامة بمكة التعرف على الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ.. فكان يقرأ كتبي ورسائلي ويقرؤها لمن يستمع إليها، وقضت هذه الصلة والثقة على تلك الأقاويل والإشاعات التي كان يثيرها بعض الناس لأسباب مختلفة، لإثارة الشكوك والشبهات حول جماعة الدعوة والتبليغ، وإساءة الظن بها، وقد دافع الشيخ عمر آل الشيخ بنفسه، عن الجماعة وأيدها وحماها من التعرض للمشاكل، ولم يزل الشيخ عمر آل الشيخ على هذه الصلة الوثيقة التي تحولت إلى صلة أخوية وصلة عطف وشفقة ويمكن أن يقدر ذلك من الرسائل الودية التي بعث بها إليّ) [٢].

وعبَّر الشيخ أبو الحسن الندوي عن رأيه في منطقة الحرمين الشريفين آنذاك (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) فقال:

«إن الحجاز يمر بمرحلة انتقالية هي من أدق مراحل الشعوب العربية، قامت دولة واسعة تستطيع -إذا أراد الله- أن تعيد التاريخ على أعقابه، وتحقق من تكوين المجتمع الإسلامي المثالي ما كان يحلم به المعنيون بالإسلام، والذي هو من أشد حاجات هذا العصر..» [٣].

«وكان من نتائج هذه الرحلة المباركة أن توطدت العلاقات بين الشيخ وبين العلماء والأصدقاء الذين تعرف عليهم أثناء الرحلة».

---

(١) في مسيرة الحياة ج١ص١٩٩.

(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٠٠، وانظر أيضاً رسائل الأعلام الذي طبع في ندوة العلماء بلكهنؤ وفي دار الصحوة بالقاهرة.

(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٠٠/٢٠١.

«وقد كان ذلك من كرم أولئك العلماء والأدباء وأصحاب الأقلام العرب وطيبة نفوسهم وميزتهم الخاصة التي جريتها مراراً، إنهم حافظوا على هذا الود والصلة التي قامت بيننا وبينهم في فترة قليلة، وداوموا على المكاتبة والمراسلة) [١] .

الرحلة الحجازية الثانية:

كانت الرحلة الثانية للشيخ أبي الحسن الندوي عام ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م برفقة الشيخ عبد القادر الرائي بوري، وكان السفر من بمباي في ٢٠ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ/ ٤سبتمبر ١٩٥٠م، ورافقه أربعة من تلاميذه: الشيخ عبد الله عباس الندوي، الشيخ السيد رضوان علي الندوي، والشيخ محمد طاهر المنصور بوري والشيخ محمد الرابع الندوي[٢].

ويذكر الشيخ واقعة خاصة بهذا السفر يراها جديرة بالكتابة والتسجيل، وهي أن حامل مفتاح الكعبة حضرة السيد الشيبي قام بنفسه بدعوة الشيخ لدخول الكعبة (وسمح لي أيضاً بأن أصطحب معي من أشاء من الناس، وكان هذا توفيقاً من الله فلم أنل هذه السعادة من قبل أو من بعد!!! وبعدها اشتكى بعض معارفنا لأنهم لم يتمكنوا من دخول الكعبة، فطلبت من الشيبي أن يسمح لهم بالدخول، فقام بنفسه بترتيب دخولهم عن طريق الشرطة...)[٣].

انطباعات الشيخ في رحلته الثانية:

عبَّر الشيخ الندوي عن مخاوفه من الغزو الغربي وهجوم الحضارة الغربية الزائفة فقال:

---

(١) انظر مجموعة رسائل الأعلام. الصحوة والمصدر السابق ص٢٠٣.

(٢) في مسيرة الحياة ص٢١٢.

(٣) اردو دائجست حج نمبر مجلد ١١ ص١٨٢ .

«شعرت أثناء إقامتي بالحجاز بأن الحضارة الغربية قد أثّرت في البلدان العربية تأثيراً كلياً، بل شلّت قواها وحطمت أعصابها، ولا يستثنى من ذلك شباب جزيرة العرب بما فيها أرض الحرمين الشريفين، الذي رزق بهم العالم نعمة الإيمان والإسلام، وانقشعت بهم ظلماته وظهرت منهم أمة خلقت للقيادة والإمامة» (١).

وعبّر الندوي عن رغبته في عقد صلات أوثق مع الخواص والمثقفين والأدباء وخاصة أن الجهل باللغة والأساليب الجديدة كان يقوم حجاباً في عصر تضاعفت فيه أهمية اللغة والأدب، فأصبح الحجاب -كما يقول- سميكاً أكثر:

«ذهبنا إلى السيد محمود حافظ نائب مدير مطبعة الحكومة، فجمع بيننا وبين الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، وكان عالماً أديباً ومحققاً وباحثاً وكاتباً معروفاً، قدمنا بدوره إلى جمع من الشباب والأدباء، والصحفيين كان من بينهم الشيخ سعيد العامودي مدير مجلة الحج، وعضو المجلس الاستشاري بالمملكة العربية السعودية والشيخ عبد القدوس الأنصاري مدير تحرير مجلة المنهل، والسيد علي حسن أحد الأدباء الموظفين بوزارة المالية والسيد محسن أحمد باروم أحد كبار الموظفين بالإذاعة، والشيخ حسين عرب الذي أصبح فيما بعد وزير الحج والأوقاف» (٢).

«وذهبنا إلى الشيخ محمد سرور الصبان.. فعرّفوني به ورغبوا إليه في أن ينظم لي أحاديث في الإذاعة وكنت قابلته أيضاً... وقَبِلَ الشيخ بكل رغبة وسرور.. وقد أصبحت بعد هذه الجلسة الناجحة والأحاديث التي ألقيتها في الإذاعة معروفاً في الأوساط الأدبية في جزيرة العرب وأرض الحرمين، وقامت بيننا وبين الأدباء وأصحاب الأقلام من الشباب روابط وصلات، فكنا ندعوهم إلى مقرنا تارة ويدعوننا إلى بيوتهم تارة أخرى» (٣).

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص٢١٣.
(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص٢١٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١٢/٢١٦.

الرحلة إلى البلدان العربية (الدور الأول)

أ- الرحلة الأولى إلى مصر والسودان

من جدة سافر الشيخ أبو الحسن الندوي إلى مصر وبرفقته مولوي محمد معين الندوي ومولوي عبد الرشيد الندوي، وذلك في ١٢ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ/ ٢٠ يناير ١٩٥١م ويذكر الشيخ أنه التزم في هذه الرحلة بتسجيل مذكراته، مما يدل على أنه لم يكن يهتم قبلاً بتسجيل يوميات رحلاته وأسفاره: (.. كتبت عند بدء هذه الرحلة في الصفحة الأولى من مذكراتي ما يدل على أهداف الرحلة ودوافعها: وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة في ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، أبلغها تحياتك وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم والأمانة التي تقلدتها» [١].

أمضى الشيخ الندوي في القاهرة ستة أشهر، وكان هدف الرحلة يتلخص في عقد اللقاءات والاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات، وعقد الصلات والعلاقات بمختلف الأوساط، والتعريف بالهند والدعوة الإسلامية، وقد سجل المؤلف كل هذا بالتفصيل في كتابه (مذكرات سائح في الشرق العربي) [٢] وتجدر الإشارة هنا إلى لقاءات الندوي بالعلماء والمفكرين في مصر، سواء من كان مصرياً بالمولد أو بالإقامة أو من هاجر إلى مصر من البلاد العربية والإسلامية.

---

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢١٨/٢١٩.

(٢) طبع أول مرة عام ١٩٥٢ وصدرت له طبعة ثانية في بيروت.

«كان من تقدير العزيز العليم أنه هيأ لي فرصة زيارة مصر والسودان وإتمام التجول فيهما قبل طغيان القومية العربية الاشتراكية العلمية التي ظهرت عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م (١٣٨٠هـ / ١٣٨١هـ) من مصر ثم احتوت العالم العربي كله..» (١).

«كان هناك نشاط ملحوظ وسط المفكرين والأدباء الذين كان لهم تأثير في العالم العربي كله، منهم أحمد أمين بك، والدكتور طه حسين باشا، وعباس محمود العقاد، والدكتور محمد حسين هيكل، وتوفيق الحيكم وأحمد حسن الزيات، ومنصور فهمي باشا، وفكري أباظة، وعدد من كبار العلماء وأصحاب الاختصاص في العلوم الدينية منهم: شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ حسنين مخلوف، والشيخ أحمد عبدالرحمن البنا الساعاتي (والد الإمام حسن البنا) والشيخ حامد الفقي، والشيخ عبدالوهاب الخلاف، والشيخ زاهد الكوثري والشيخ محمد عبداللطيف دراز، والشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، والشيخ مصطفى صبري أفندي (شيخ الإسلام سابقاً بالدولة العثمانية) - وكان من بين القادة والزعماء من هاجر من وطنه وأهله ولجأ إلى مصر، ومنهم سماحة المفتي أمين الحسيني، والمجاهد المعروف الأمير عبدالكريم الريفي، وفضيلة العلامة السيد مبشر الطرازي التركستاني، وعبدالرحمن عزام باشا، واللواء صالح حرب باشا (رئيس جمعية الشبان المسلمين) وأمين محمود خطاب (سكرتير الجمعية الشرعية) ومحمد علي علوبه باشا (وزير حزب الأحرار الدستوريين سابقاً) - وكان من الأدباء والدعاة والمفكرين الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح، وسيد قطب، ومحمد أحمد بك الغمراوي

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢١٩.

ومحمود محمد شاكر، وأحمد الشرباصي، ومحمد الغزالي، وفريد وجدي وسعيد رمضان، وصالح العشماوي (مدير تحرير مجلة الدعوة) ويكفي في أسماء الدعاة إلى التحرر والفكر الغربي وممن يستحق أن نعتبره من مربي الجيل الجديد في مصر ذكر اسم أحمد لطفي السيد باشا (رئيس مجمع فؤاد الأول) هذا بالإضافة إلى الجماعات والمنظمات والمجلات الأدبية[١].

وعن الرحلة داخل القاهرة كتب الندوي ما يلي:

«لما وصلنا القاهرة انضم إلينا في هذه الرحلة الشيخ عبدالله البلياوي الذي كان قد سافر إلى السودان في رحلة دعوية، وأقمنا أياماً في فندق البرلمان بالعتبة الخضراء، ثم نزلنا في إدارة جمعية كانت بالطابق الأعلى في السكة الحديد (سوق الصيارفة)... لم يكن لنا نحن الشباب في مدينة القاهرة العامرة الصاخبة شيء يلفت أنظار الأوساط العلمية والأدبية والدعوية إلينا، وكنت أنا ترجمان الجماعة شاباً نحيفاً لم أبلغ من العمر إلا ٣٦ أو ٣٧ سنة وملابسي هندية، فلا عندي عباءة علماء الأزهر ولا بذلة الأفنديين.. فملابسنا لا تتجاوز قدراً من ملابس النوم في الشرق العربي إلا قليلاً، أما الإقامة فكانت في مكتب متواضع لجمعية خيرية بدلاً من فندق كبير يحدد مكانة الضيف الأجنبي.. لكن الله هيأ لي من قبل أسباب الاستفادة من هذه الإقامة..» [٢].

كتب المؤلف بعد ذلك عن نشاطاته العلمية، فقد ألقى محاضرات في دار الشبان المسلمين، علق عليها الأستاذ أحمد الشرباصي، وعبدالمتعال الصعيدي

(١) المصدر السابق ص ٢٢٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ عبدالمنعم خلاف، وكان اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين في مصر قد عقد حفلة تكريم للشيخ أبي الحسن علي الندوي في الرابع من جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ/ ١٣ / ٣ / ١٩٥١م بدار جمعية الشبان المسلمين.

وقد تحدث شيخنا في هذه المناسبة عن الدعوة الإسلامية في الهند وأدوارها وأطوارها [١].

كما ألقى محاضرة في دار العلوم عن محمد إقبال، وكان له لقاءات ومحاضرات في أروقة الأزهر والفنادق بالإضافة إلى جولاته في القرى والريف المصري [٢]. يقول الندوي:

«كان طلبة كلية الشريعة وأصول الدين بالأزهر أقرب إليّ وأكثرهم حفاوة بي، وقد زرتهم في مسكنهم كثيراً وكانوا يزورونني كثيراً، ومن أبرز هؤلاء الطلاب طالب اسمه يوسف القرضاوي والطالب عبد الله العقيل..» [٣].

«قمنا برفقة الشيخ محمد الغزالي بجولات في القناطر الخيرية، طنطا، بنها، الحامول، حلوان، سنتريس، المحلة الكبرى، ونكله، والعزيزية، وقويسنا ونبروه وغيرها..» [٤].

وزار الشيخ الصعيد أيضاً فخرج من القاهرة يوم ٢٨ شعبان ١٣٧٠هـ / ٣يونيو ١٩٥١م ومر بالأقصر حتى وصل إلى الشلال ومنها إلى الخرطوم، ونزل أحياناً عند أحد خلفاء الزعيم الديني السوداني ميرغني باشا ويدعى الشيخ

(١) كلمة الناشر للمحاضرة التي طبعت باسم الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها مطبوعات المجمع الإسلامي العالمي، ندوة العلماء (رقم ١٩٥) ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٢ / ٢٢٤ .

(٣) ص ٢٢٥ والدكتور القرضاوي الآن عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ومدير مركز بحوث السنة والسيرة النبوية في جامعة قطر، والشيخ عبد الله العقيل هو الآن وكيل رابطة العالم الإسلامي.

(٤) نفسه.

طيب عبد المقصود، والتقى عنده بعلماء كثيرين ورجع من السودان إلى القاهرة في ١٢ رمضان ١٣٧٠هـ / ١٧ يونيو ١٩٥١م وبعد خمسة أيام سافر إلى دمشق [١].

ب - الرحلة الأولى إلى الشام

وصل الشيخ أبو الحسن الندوي إلى دمشق قادماً من القاهرة في ١٩ رمضان ١٣٧٠هـ / ٢٤ يونيو ١٩٥١م وعن إقامته في الشام يقول:

«نزلنا في فندق قصر الأندلس بالمرجة المنطقة الرئيسية الجميلة بدمشق، ثم انتقلنا بعد أيام بإلحاح من الصديق الكريم السيد محمود الحافظ إلى بيت والد زوجة الشيخ عبد الوهاب الصلاحي أمام القصر الجمهوري، وأقمنا بالشام ٤٨ يوماً، منها ٢٤ يوماً في دمشق، وعقدنا صلات مع الشيخ مكي الكتاني والشيخ أحمد الدقر، والعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار والشيخ أبي الخير الميداني، والدكتور مصطفى السباعي والأستاذ محمد المبارك والأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء والشيخ محمد أحمد دهمان والدكتور أبي اليسر عابدين حفيد العلامة الشامي ومفتي الجمهورية والشيخ أحمد كفتارو والشيخ محمد سعيد البرهاني والشاعر محمد علي الحوماني والأستاذ تيسير ظبيان ومحمد كمال خطيب والعلامة محمد كرد علي والأستاذ محمد عزة دروزة، والأستاذ خليل مردم بك والعلامة عبد القادر المغربي، وكان له صلة خاصة بالسيد عبد الرحمن الباني [٢] الذي كان يساعدنا متطوعاً كسكرتير لنا، وكان شاباً ممتازاً لبقاً ومدرساً بكلية المعلمين» [٣].

وأشار الندوي إلى زيارته إلى مؤسسات في دمشق والشام ومراكزها العلمية والأدبية [٤].

---

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٣٥ .

(٢) أشير إليه سابقاً فقد أعد قائمة بآثار الشيخ الندوي العلمية ومؤلفاته بالعربية حتى العام الحالي ١٤١٦هـ وهي تحتاج إلى توثيق ومراجعة.

(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٣٧.

(٤) نفسه ص٢٣٨.

وقد ألقى محاضرة بجامعة دمشق في ٢٣ يوليو ١٩٥١م (٢٠شوال ١٣٧٠هـ)، تناولت موضوع العوامل الأساسية في كارثة فلسطين [١]. وكانت بعنوان (شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين) وكان قد أعدها أثناء سفره ما بين عمّان وبيت المقدس، وألقى الندوي محاضرات وأحاديث أخرى في الشام [٢] .

ج - الرحلة إلى فلسطين

حرص الشيخ أبوالحسن الندوي -أطال الله في عمره- على زيارة بيت المقدس والخليل، كما التقى بالملك عبد الله حاكم الأردن والقدس [٣] وعبر عن رأيه في مأساة فلسطين بالعبارات التالية:

«علمنا في رحلتنا إلى عمان وبيت المقدس عن طريق الرجال والمسؤولين الثقات تلك الحقائق المؤسفة الأليمة عن مأساة فلسطين، التي لم نكن لنطلع عليها بدراسة الكتب، وخلاصتها أن قضية فلسطين كانت مسرحية، أخرجها الإنجليز وأصدقاؤهم من قبل، وكان الممثلون فيها الملوك العرب وحكوماتهم، وقد ظهرت هذه المسرحية على منصة فلسطين...

والواقع أن المسؤول الأول عن دماء فلسطين هو الحكومات العربية وقادتها والجامعة العربية، وقد حكى لي بعض الناس وهو يبكي هذه الحكاية المحزنة كان منهم إمام المسجد الأقصى وسكانه وعمّاره والشيوخ المعمرون وأصحاب الحمية من العرب، وقد شاهدت الفلسطينيين كاليتامى والغرباء والمساكين، قلوبهم مكسورة محطمة ورؤوسهم مطأطأة منكوسة، ووجدتهم مكلومين كئيبين منكسري الخاطر،.. وقد زالت ثقتهم تماماً بالزعماء العرب وقادة البلاد ...» [٤].

---

(١) طبعت وصدرت بهذا الاسم.
(٢) يمكن الرجوع لكتابه المسلمون وقضية فلسطين.
(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٣٨ .
(٤) المصدر السابق ص٢٣٩/٢٤٠ .

د- خاتمة الرحلة إلى البلدان العربية (الدور الأول)

عاد الشيخ الندوي من الشام مهموماً فأراد أن يريح قلبه وفؤاده، فوصل إلى المدينة المنورة في ١٢ أغسطس ١٩٥١م (حج عام ١٣٧٠ هـ) وانتقل بعدها إلى مكة المكرمة ثم الطائف، وكان دليله في الطائف الشيخ أحمد عبدالغفور عطار، ودعاه أمير الطائف إلى مأدبة حضرها مع بعض العلماء، واستمر الشيخ الندوي في أداء مهمته الدعوية بجميع ما تيسر له من طرق وأساليب، فنشر في صحيفة البلاد السعودية مقالاً بعنوان (كيف توجه المعارف) علق عليه عدد من العلماء من بينهم الشيخ محمد علي الحركان، وقام الشيخ الندوي أيضاً بإلقاء عدد من المحاضرات في أماكن متفرقة، وكانت عودته إلى الهند في أكتوبر عام ١٩٥١م (محرم١٣٧١هـ) بالباخرة رضوان.

هـ - الانطباع الأخير للشيخ الندوي عن سلسلة رحلاته إلى البلاد العربية

بعد أن انتقل الشيخ أبو الحسن الندوي ما بين أرض الحرمين وبين مصر والسودان، وبعد أن مكث فترة في الشام والأردن وفلسطين، في رحلة استغرقت سنة وشهرين أطلق عليها اسم (رحلة الحجاز والشرق العربي) عاد إلى وطنه فهرع إليه أهله وجماعته يسألونه ويتساءلون ويستفسرون منه عما رأى وشاهد وسمع، والشيخ يتطلع إليهم ماذا يقول لهم وكيف يعبر لهم عما في مكنون قلبه.. لخص لهم الشيخ الحكاية على عادة حكماء شبه القارة الهندية في عبارة بسيطة أبيات شعرية استعارها من إقبال، وكأنه كما يقولون جمع البحر في (الكوز) وأنقل ما ذكره الشيخ في كتابه (في مسيرة الحياة) [1]:

«طلب مني إخوتي التعليق على الرحلة وبيان انطباعاتي فأنشدت ما قاله إقبال: «لم أسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتجفت له

(١) ص٢٤٥.

الجبال بالأمس، أين السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض لقد طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر».

الرحلة إلى البلدان العربية وتركيا (الدور الثاني)

يبدأ الدور الثاني لرحلة الشيخ إلى البلدان العربية (وتركيا) في أواخر عام ١٩٥٥م (جمادى الأولى ١٣٧٥هـ)، في وقت شهدت فيه المنطقة العربية تغييرات سياسية واجتماعية، ورغم أن هدف الرحلة بدأ محدداً في إلقاء سلسلة من المحاضرات في كلية الشريعة بدمشق، إلا أن الشيخ أبا الحسن استثمر وقته للمضي قدماً على الدرب الذي رسمه لنفسه، وهو الدعوة إلى الله داخل الهند وخارجها وداخل العالم العربي وخارجه، وداخل العالم الإسلامي وخارجه أيضاً، فحين قدمت له كلية الشريعة الدعوة للعمل بها ٢٢شوال ١٣٧٤هـ/ ١٢ يونيو ١٩٥٥م اعتذر عن هذا العرض واقترح السفر لإلقاء عدة محاضرات فقط، وأرسل الدكتور مصطفى السباعي إلى الشيخ الندوي أواخر عام ١٩٥٥م (أواخر ١٣٧٤هـ) قبول الجامعة لهذا الاقتراح ويقول الشيخ الندوي:

«وصلت إلى دمشق وكان في استقبالي بالمطار الأستاذ محمد المبارك والأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ونزلت ضيفاً على الجامعة في فندق اليرموك، وبدأت في إلقاء سلسلة المحاضرات» [١].

وواكب هذا أيضاً إلقاء الندوي لسلسلة من الأحاديث في الإذاعة السورية [٢]، كما حضر المؤتمر الإسلامي الذي بدأ في يونيو ١٩٥٦م- صفر١٣٨٥هـ وشارك فيه المفتي محمد شفيع الديوبندي [٣] وأبو الأعلى

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٥٧ . (٢) نفسه ٢٥٩.

(٣) من علماء شبه القارة الهندية الكبار ترجمنا له كتابه مقام الصحابة وعلم التاريخ مع تعريف به، نشر دار هجر بالقاهرة.

المودودي، والأستاذ ظفر أحمد أنصاري والدكتور محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا سابقاً، واستمرت الرحلة ثلاثة أشهر شعر فيها الندوي بالراحة والسرور وعبّر عن مشاعره بقوله:

«كانت الإقامة الأخيرة بدمشق لثلاثة أشهر من أحلى أيام العمر وأطيب ساعاته، لم تصف لي ولم يتم السرور والأنس -غير الحرمين الشريفين- في أي مكان آخر، فقد كان مزيجاً من تفتح القلب وانشراح الصدر والصحة البدنية، وجمال الطقس ولطفه وحبّ الأصدقاء وحفاوتهم البالغة وجمال البلاد الطبيعي والروحانية الخاصة..» (١).

وظلت صلة الندوي بعلماء سوريا مستمرة، ومن معالم هذه الصلة الوثيقة أنه كتب افتتاحيات مجلة المسلمون التي كان يصدرها الأستاذ سعيد رمضان في دمشق عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩م (١٣٧٨ - ١٣٧٩ هـ) حين سافر الأخير إلى ألمانيا للحصول على الدكتوراة وكانت أول افتتاحية كتبها بعنوان «ردة جديدة» (٢).

أ- الرحلة إلى لبنان

أثناء إقامة الشيخ في دمشق لإلقاء محاضراته بكلية الشريعة فكر في السفر إلى لبنان وكان قد فاته ذلك في رحلته الأولى عام ١٩٥١م (٧٠-١٣٧١هـ) لضيق الوقت، فأقام في لبنان لأربعة أيام متجولاً سائحاً بين الأماكن التاريخية والأثرية، وقابل شخصيات دينية وعلمية والتقى بقادة الحركات الدينية من مثل محمد عمر الداعوق مؤسس حركة عباد الرحمن وقائدها، والشيخ محمد مفتي جمهورية لبنان، كما التقى برئيس المحكمة الشرعية وأيضاً بالأستاذ محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً) الذي كان يقيم في بيروت آنذاك بعد كتابته للجزء الثاني من كتابه الطريق إلى مكة.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٢٦٩.

كما زار الندوي من المؤسسات مركز عباد الرحمن والكلية الشرعية وخلية الملك سعود، وهي مؤسسة تبرع لها الملك سعود بمبلغ من المال فسميت باسمه وتعد المركز الإسلامي في بيروت وبها قاعة للمحاضرات ومكان للاحتفالات.

وتجول بعدها ليوم واحد في طرابلس يقول:

(وذهبت ليوم واحد إلى طرابلس إحدى مدن الشام التاريخية، ومررنا في الطريق بـ (القلمون) موطن العلامة السيد رشيد رضا، ومضينا على ساحل بحيرة الروم وشاهدنا مناظر جميلة على طول المسافة إلى طرابلس) [١].

ولم يفوّت الشيخ الندوي هذه الفرصة فألقى محاضرة دينية في خلية الملك سعود [٢]

ب - الرحلة إلى تركيا

قام الشيخ برحلته إلى تركيا أثناء إقامته في دمشق وتوجه إلى هناك في الثاني من ذي القعدة عام ١٣٧٥هـ الثاني عشر من يونيو ١٩٥٦م يقول عن رحلته:

«أقمت ليلة في حلب، ثم وصلت أرض تركيا الكريمة الطيبة الندية، التي ازدانت وازدهرت مرات وكرات بدماء الشهداء الزكية، والتي كانت على مدى قرون وأجيال مركزاً لكرامة العالم الإسلامي، ووتداً راسياً في البلاد الصليبية بأوروبا، وحارسة للحرمين الشريفين، وقلعة حصينة للأماكن المقدسة والبلاد العربية، وشاهدت العظمة التركية ورأيت أُسود هذه الأمة وصقورها، ثم شاهدت الجهود المنظمة القوية التي قام بها أتاتورك للقضاء على الآثار

(١) المصدر السابق ٢٦١/٢٦٢.

(٢) للمزيد من المعلومات انظر الصفحات الأخيرة من مذكرات سائح في الشرق العربي.

الإسلامية والعربية ومحوها، ورأيت مناظر البعد عن الثقافة الإسلامية والحرمان من المكتبة الإسلامية بالتحول إلى الخط اللاتيني، وقد حكيت ذلك كله في كتابي أسبوعان في تركيا» [١]. وقد كتبه الشيخ بالأردية وترجم ونشر في مجلة البعث التي تصدر بالعربية من لكهنؤ.

والحقيقة أن الشيخ الندوي لم يتزحزح قيد أنملة عن هدفه ومساره، فهو دائماً يجعل من الرحلة وسيلة، ويضع نتائجها في كتاب يتضمن أفكاره جنباً إلى جنب مع مشاهداته، وأوضح مثال على ذلك رحلته هذه (أسبوعان في تركيا) فهي بيان صادق لمشاغله العلمية وأهدافه النبيلة، زار الشيخ الندوي المدن وزار بعض الإدارات العلمية التي بدأت تهتم بتدريس الفلسفة الإسلامية والتاريخ وعلوم الدين والشريعة والفقه وغيرها وكتب عن هذه الإدارات ما يلي: «ورغم أنها قطرة في بحر العلمانية، لكنها شعاع أمل، وهي نعمة كبرى وسط هذا الظلام الدامس» [٢].

كان هدف الشيخ الندوي البحث عن باطن المسلمين، لم يصرف نظره أبداً عن هذا الهدف، وقد ذكر في رحلته هذه النوادر العلمية في تركيا والشخصيات المشهورة في الوقت الحاضر ولقاءاته بهذه الشخصيات:

«بعد الصلاة ذهبنا لمشاهدة المتحف.. كان المبنى بجوار جامع أيا صوفيا، مبنى قديم يبدو أنه عمارة سلطانية، والدخول هناك بالتذاكر، شاهدنا مجموعة من التحف والنوادر الخاصة بالسلاطين الأتراك، وشاهدنا أشياء ثمينة وقيمة مرصعة بالذهب والفضة والجواهر، لا يمكن أن توجد في أي مكان آخر في العالم» [٣].

---

(١) المصدر السابق ص٢٦٣.

(٢) الرحلة بالأردية ص٥٧ نقلاً عن أردو أدب مين سفرنامه ص٣٤٦.

(٣) الرحلة نقلاً عن المصدر السابق ص ٣٤٨ .

وفي هذه الرحلة زار الندوي قونية وأنقرة والقسطنطينية وصلى في المسجد السليماني ووصفه وصفاً دقيقاً ووصف ما يقوم به الأتراك قبل أداء فرض الصلاة من أدعية وخلافها [١] أما المجتمع التركي فقد نال اهتمامه [٢].

والحقيقة أن رحلة (أسبوعان في تركيا) رحلة ألم المسلمين وقصة حزنهم وهوانهم، لكن زوال الحديث عن العظمة هذه والحزن عليها ينقلب إلى تعبير آخر يحمل معنى عظيماً:

«هذا هو الإسراف، والحضارة العجمية التي أدت إلى زوال هذه السلطنة».

لقد غاص الشيخ الندوي -كما يقول الدكتور أنور سديد في كتابه عن الرحلات الأردية، في أعماق الأماكن والأشخاص في رحلته هذه فأسمعنا أحوال رحلته وأشعرنا بالتعاطف تجاه ما يرى وما يشاهد، ففي كتاباته تبدو مشاهدة الحرية الإسلامية والأخوة الإسلامية أكثر جاذبية وهو يقدم الحقيقة بطريقة بسيطة وبدون زخرفة وأهم ما يميز أسلوبه في الرحلة هو صدق البيان الذي لا يشوبه زخرفة الكلمات أو تقعرها[٣].

ج - الرحلة إلى بغداد

وهذه رحلة أخرى قصيرة إلى وجهة أخرى فقد سافر الشيخ أثناء إقامته في دمشق إلى بغداد، وكان في شوق إلى رؤية هذه المدينة، يقول:

«سافرت في يوم من أيام يوليو من دمشق إلى بغداد، إذ إنني لم أكن قد زرت بغداد من قبل، وأول اسم قرع أذني بعد مكة والمدينة كان بغداد، وقد كنا

(١) دوهفتي ترکی مین ص ٥٩ .
(٢) الرحلة ص٨١ نقلاً عن د. محمد خالد اردو سفرنامون کاتنقيدي مطالعه ص٢٥٠/٢٥١.
(٣) أنور سديد اردو أدب مين سفر نامه ص ٣٤٩.

نقرأ القاعدة البغدادية، كتاب صغير للتعريف بالحروف الهجائية والتمرين على استعمالها وكنا نسمع بيتاً من شعر حالي [١] يقول:

«تلك البلدة التي كانت مفخرة البلاد، التي كانت تحكم البر والبحر، وأولئك الأبطال الذين ارتجت بهم البلاد وسُمعت أصداؤهم في الدول والحكومات ينامون النومة الأخيرة في مقابر بغداد».

أقمت في بغداد يومين أو ثلاثة أيام لا تساوي شيئاً لزيارة الآثار والأماكن التاريخية في مثل هذه المدينة العظيمة العامرة الواسعة ولكن انتهزنا هذه الفرصة لحكمة «ما لا يدرك كله لا يترك كله» [٢].

الرحلة إلى بورما والكويت وجزيرة العرب (الدور الثالث)

أ- إلى بورما

اتخذت المرحلة الثالثة من رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي وجهة أخرى نظراً لزيادة المسؤوليات الملقاة على عاتقه، ولحرصه الشديد على إيجاد وسائل دعم للندوة ولطلاب الندوة الذين يدرسون بها ويقيمون بها إقامة كاملة تكلف أموالاً طائلة، ومن هنا كانت رحلة الشيخ إلى بلد مجاور وهو بورما، ويوضح الشيخ الهدف المباشر للرحلة في السطور التالية:

«بينما كان المسلمون في الهند بعد التقسيم يعانون من ضائقة مالية، كانت بورما هي الوحيدة من البلدان المجاورة التي كان فيها كثير من التجار المسلمين، كانوا ناجحين في تجارتهم وكانوا يساعدون من هناك كثيراً من المؤسسات بعزيمة وهمّة، ومن حسن حظي أن وجه إليّ أحد فضلاء ديوبند

(١) من شعراء الأردية الكبار اشتهر بمسدس حال الذي حكى فيه قصة عظمة المسلمين في الماضي.
(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٦٦.

المقرئ عبد الرحمن القاسمي دعوة لزيارة رنكون لتنشيط الوسط الديني والعلمي هناك، فسافرت ومعي الشيخ محمد معين الندوي»[١].

«وصل الشيخ الندوي إلى رنكون في ١٨ ديسمبر ١٩٦٠م/ ٢٧ رجب ١٣٨٠هـ ونشرت الصحف أنه لم يستقبل في بورما بعد استقلالها أي عالم ديني مثل هذا الاستقبال الرائع الذي استقبل به الشيخ الندوي الذي مكث في رنكون أكثر من شهر، قام فيه بإلقاء عشرات من الخطب ووجه المسلمين هناك إلى العناية بتعريف المواطنين من غير المسلمين بالإسلام، وركز الشيخ على موضوع هام يقلق المسلمين في كل مكان وزمان وهو موضوع الانتماء إلى الدين أو الوطن:

«شرحت أنه لا تعارض بين حب الوطن وبين الانتماء إلى الحضارة المحمدية، وليست الملة الإبراهيمية وقفاً لأحد أو حكراً على أحد إنها يمكن أن تمثل في ظل أي بلد وأي لغة، وأن اللغات كلها - سوى العربية - سواء، لذلك من الضروري أي يهتم المسلمون في بورما باللغة البورمية ويبرعوا فيها ويقوموا بتعريف الإسلام عن طريقها..»[٢].

ب - إلى الكويت

تشابه الهدف من سفر الشيخ إلى الكويت مع الهدف من سفره إلى بورما.

«بعد أن وقع الاختيار عليّ كرئيس للندوة في ١٨ يونو ١٩٦١م/٣صفر ١٣٨١هـ بعد وفاة أخي تضاعفت بذلك مسؤوليتي، وكانت دار العلوم لا تزال تعاني الأزمة المالية ولم يعد لرحلة بورما - لعدم الحصول على المبالغ

(١) المصدر السابق ص٢٧٢ .
(٢) المصدر السابق ص٢٧٣.

المطلوبة- كبير الفائدة، وكان الدكتور عبد اللطيف من أصحاب الخير في الكويت، فوجه الدعوة لزيارة هذه الدولة الغنية المصدّرة للبترول والتي كان من السهل للغتها العربية تعريف الندوة بها وتأثيرها فيها، وكان الدكتور عبد اللطيف الحامل للجنسية الباكستانية الذي كان لا يقدر على اللغة العربية القدرة المطلوبة يعتمد في هذا الصدد على أحد تجار الكويت المخلصين المتدينين ومن أصحاب الخير، وهو فضيلة الشيخ عبد الرزاق الصالح، الذي وعد بمساعدتنا إذا ما زرنا الكويت.» (١).

وهكذا قرر الشيخ أبو الحسن الندوي زيارة الكويت وذلك في يناير ١٩٦١م/ شعبان ١٣٨١هـ.

«استقبلنا مضيفنا ومعه العالم النجدي الفاضل الشيخ عبد الرحمن الدوسري المقيم بالكويت، وكان داعية متحمساً وصاحب غيرة وحمية وعالماً جليلاً، ولم يدخر الدكتور عبد اللطيف والشيخ عبد الرزاق الصالح وسعاً في المساعدة» (٢).

قضى الشيخ الندوي الأيام الأولى من شهر رمضان ١٣٨١هـ بالكويت واتصل كعادته في أسفاره بالشخصيات الموقرة من أوساطها الدينية والعلمية، كما ألقى عدة خطب للجمعة وفي أماكن عامة وتجمعات، وعن نشاطاته بالكويت يقول:

« .. ألقيت في هذه الرحلة ذات يوم خطاباً بالإذاعة الكويتية بعنوان: اسمعي يا زهرة الصحراء، وكتبت رسالة إلى أمير الكويت ونبّهت إلى خطر معابد غير المسلمين في هذه الدولة المسلمة، التي بدأت تؤسس وتقام في الكويت والإمارات العربية المتحدة والتي تخالف صراحة وصية الرسول ﷺ لا يجتمع دينان بجزيرة العرب».

(١) المصدر السابق ص٢٧٦ .
(٢) نفسه.

وكان الشيخ الندوي قد قابل أمير البلاد الشيخ عبد الله السالم الصباح ودرس أوضاع البلاد واطلع على مشاريع تقدمها ونهضتها، وذكر كل هذا في خطابه للشيخ ثم قدّم له ملاحظاته في خطاب مؤرخ بتاريخ ٢٢شعبان١٣٨١هـ [١].

ج - إلى السعودية (رحلات متفرقة)

تعددت رحلات الشيخ الندوي إلى المملكة العربية السعودية وكانت في معظمها إما بدعوة رسمية للحج أو لحضور مؤتمرات دينية أو بدعوة من الجامعات، وهكذا في مايو ١٩٦٢م/ ذي الحجة ١٣٨٢هـ سافر الشيخ من بمباي إلى الظهران ومنها إلى مكة المكرمة حيث نزل ضيفاً على الحكومة في لوكاندة مصر أكبر فنادق مكة المكرمة على مقربة من الحرم الشريف.

وتعد هذه الرحلة من الرحلات الرسمية وهي تختلف بالطبع عن رحلاته الأخرى ويتضح هذا مما كتبه الشيخ:

«في ١٤ ذي الحجة تلقيت دعوة لحضور حفلة تقام في القصر الملكي يحضرها الملك سعود نفسه، وقد حضرها أيضاً الملك إدريس السنوسي وشخصيات أخرى ذات شأن، وقد أسست هناك منظمة عالمية باسم رابطة العالم الإسلامي، واختير الأعضاء المؤسسون وكنت أنا منهم، وقد ألقيت في الجلسة الأولى للرابطة مقالاً بعنوان الأخوة فوق العصبيات. » [٢]

وفي العام التالي ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م وجهت الدعوة للشيخ الندوي لإلقاء سلسلة من المحاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد رافقه في سفره هذا ابن أخته الشيخ محمد الرابع الحسني في ربيع عام ١٩٦٣م / ١٣٨٢هـ وبدأ الشيخ الندوي سلسلة محاضراته المشار إليها في الثالث من ذي

(١) انظر نص الخطاب في كتاب (كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب) دار عرفات الهند ص ١٣٥/١٣١.
(٢) نشر في كتاب العرب والإسلام، وقد ذكره الأستاذ عبد الرحمن الباني في قائمته الخاصة بمؤلفات الشيخ وكتب أمامه بين قوسين (كنت اقترحت عليه الكتابة في هذا الموضوع) القائمة ص٤.

القعدة عام ١٣٨٢هـ/ ٣٠مارس ١٩٦٣م (١) وذكر الشيخ الندوي أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز هيأ له لقاءً مع الأمير فيصل ولي العهد، فالتقى الشيخ بالأمير فيصل في جلسة خاصة بالقصر الملكي، كما التقى به بعد ذلك في جدة وفي مكة (٢).

(١) في مسيرة الحياة ٢٨٣.
(٢) نفسه ص٢٨٦/٢٨٧ .

obeikandl.com

رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي إلى أوروبا

أ - الرحلة الأولى:

لم يسبق للشيخ أبي الحسن الندوي زيارة أوروبا قبل عام ١٩٦٣م / ١٣٨٣هـ لأنه شغل بأمور الدعوة الإسلامية في الهند والبلاد الإسلامية العربية، وشغل بهموم مواطنيه داخل الهند، وهموم أهل أمته خارج الهند، ثم واتته الفرصة للارتحال إلى أوروبا فارتحل إليها في ١٩ سبتمبر ١٩٦٣م/ ٢٨ جمادى الأولى ١٣٨٣هـ وبقى هناك لشهرين أو أكثر إذ رجع في نوفمبر من نفس العام، وكان يرافقه الدكتور اشتياق حسين القريشي.

كان هدف الرحلة المشاركة في اجتماع المركز الإسلامي في جنيف وذلك بدعوة من الدكتور سعيد رمضان، إلا أن الشيخ يظل يتجول في جنيف وفي خارج جنيف في مدن البلدان الأوروبية، وهكذا زار لوزان وبرن، وباريس ولندن وكامبردج وإكسفورد، وأدنبرة كما عرج على إسبانيا فزار مدريد وطليطلة وإشبيلية وقرطبة وغرناطة.

ولم يكتف بمشاهدة المدن بل قابل العلماء وزار المؤسسات الدينية والتعليمية، وأكثر من هذا ألقى سلسلة من المحاضرات في البلدان المختلفة وفي الإذاعات المختلفة، كان من أهمها المحاضرة التي ألقاها في جامعة لندن بعنوان (بين الشرق والغرب) وقد نقلها الدكتور ظفر إسحاق الأنصاري إلى اللغة الإنجليزية وألقاها بحماسة شديدة أحد الإنكليز ممن هداهم الله للإسلام وهو مصطفى إيوانس، واستفاد الندوي من لقاءاته مع علماء الغرب والمستشرقين، وأثناء إقامته بلندن استفاد أيضاً من مكتبة المتحف البريطاني وغيرها، وكتب مقدمة كتابه (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) [1].

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص٢٩٠/٢٩١ .

ب - الرحلة الأندلسية:

رغم أهمية الرحلة إلى أوروبا داخل بلدانها المتفرقة إلا أن الرحلة إلى (إسبانيا) أو الأندلس لها أهميتها الخاصة لأسباب لا تخفى على أحد، وقد عبر الشيخ الندوي عن مدى هذه الأهمية:

«كان أحب أجزاء هذا السفر (أي السفر داخل أوروبا) زيارة الفردوس المفقود، الأندلس، ولا أذكر بلداً عاش فيه المسلمون ثم محيت عنه آثارهم واندرست ديارهم، وشعرت في زيارته بذلك الأنس والقرب والود والجاذبية والفتنة حتى كانت أجواؤها تعانقني وتضمني إلى جوانحها، وتحكي كل ذرة من ذراتها رسالة الحب والأنس، كما شعرت في زيارتي للأندلس، لقد وجدت في الصلوات هناك ووجدت في ذكر الله من الرقة والتأثير مالم أجده إلا في أماكن معدودة.. زرت أطلال مدينة الزهراء، وآثار الحمراء وسقوفها وجدرانها ونقوشها وجمالها..»[١].

ويتأسف الندوي لأنه لم يستطع أن (يقيد مذكرات هذه الرحلة)، وقد حرص الندوي على زيارة مسجد قرطبة والصلاة فيه، كما صلى محمد إقبال:

«وفي مسجد قرطبة صليت رغم عدم السماح ركعتين في مكان، وكان وقت العصر وخرجنا ثم صلينا في صحن المسجد صلاة العصر، بأذان وجماعة وكان سكان المدينة ينظرون في حيرة وعجب إلى هذا المشهد الغريب»[٢].

ولا شك أن الرحلة الأندلسية لها مكانتها بين أدباء الأردية في شبه القارة الهندية، ولهذا الأمر مغزاه الذي يفهمه اللبيب، وقد ألهمت العديد من الأدباء والشعراء فسالت أقلام إبداعاتهم وسطروا أدباً رائعاً نثراً وشعراً، ولنا أن نطالع ما كتب الشيخ الندوي كنموذج ومثال على هذا الإبداع في التعبير

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٩١.
(٢) نفسه ص ٢٩٣ .

عن المشاعر الجياشة التي اجتاحت فؤاده وفكره وهو يمضي على أرض الفردوس المفقود:

«لقد نكأت هذه الرحلة جروحي وقروح قلبي، وأصبح تاريخ المجد الحافل والقوة والشوكة والسلطان والعلم والفضل والكمال عبر القرون والأجيال الذي أثبت على آلاف من صفحات (نفح الطيب) و(الحلل السندسية) والذي كنت قرأته في (غابر الأندلس وحاضرها) للعلامة كرد علي، و(أخبار الأندلس) للشيخ خليل الرحمن ماثلاً في عالم الخيال أمامي، وعاد غضاً طرياً في ذاكرتي» [١].

«ووقفت عند الشباك في رحلتنا من مدريد إلى قرطبة على القطار أصدق قول إقبال:

لا تزال رائحة اليمن في أجوائها المعطرة ولا تزال صبغة الحجاز ولونها في أنغامها وألحانها [٢].. وأنشد قول الشاعر الأندلسي:

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل في الأندلس

ولما وصلت إلى قرطبة بدأت ترن في أذني قصيدة إقبال الرائعة بعنوان «مسجد قرطبة، التي هي آية في الأدب وتحتل في آداب العالم مكانتها الخاصة الفريدة..» [٣].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الندوي فصل الحديث عن انطباعاته في أوروبا في كتاب صدر له بالأردية بعنوان (مكاتيب يورب) تضمن رسائله التي

---

(١) مسيرة الحياة ج١ ص ٢٩١.

(٢) أنشد هذه الأبيات شعراً الشاعر العربي الصاوي شعلان.

وتلك المحاسن طبع الحجاز وهذا النسيم عبير يماني
نحيي الجنان وسكانها وإن زال سكان تلك الجنان

كما نظمها أيضاً الشاعر العربي الزبيري هكذا:

إن أنسام اليمن لم تزل في جوه وصدى أرض الحرم مشرق في شدوه.

(٣) نقلاً عن مسيرة الحياة ج١ ص٢٩٧.

أرسلها إلى أقاربه وأحبابه [١]، وقد صدر الكتاب بالعربية بعنوان (رسائل أوروبا).

الرحلة الثانية ورحلاته الأخرى

كانت رحلة الشيخ الثانية إلى أوروبا في أكتوبر عام ١٩٦٤م/ جمادى الثانية ١٣٨٤هـ بهدف حضور جلسة مجلس المركز الإسلامي التنفيذي بجنيف، وقد نزل لدى أمير جماعة التبليغ بها السيد منور حسين البهاري الذي كان يحمل الجنسية البريطانية، وقد تجول الشيخ الندوي في برلين وآخن وميونخ ومر بمدينة بون، وشاهد بأم عينه قهر النظام الاشتراكي في برلين الشرقية [٢] وفي عودته من رحلته زار إستانبول ليوم واحد ومكث في دمشق لثلاثة أيام ثم عاد إلى الهند عن طريق مدينة كراتشي الباكستانية. وكان للشيخ الندوي فيما بعد رحلات إلى أوروبا وأمريكا عام ١٩٧٨م وما بعدها سيرد ذكرها، وقد تحدث عن الرحلة إلى أمريكا الشيخ محمد الرابع في كتاب له صدر بالأردية بعنوان (شهران في أمريكا).

رحلات الشيخ أبي الحسن عام ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ -١٩٨٢م/١٤٠٢ هـ (الدور الرابع)

في العقود الثلاثة الماضية تعددت أسفار الشيخ الندوي لدرجة يصعب الحديث عنها هنا في هذا البحث المختصر ولهذا نختصر الحديث عن هذه الأسفار، وعذرنا هنا أن القارئ العربي يستطيع بلا شك الاطلاع على ما يتعلق برحلات هذه الفترة من خلال ما نشر من كتب بالعربية في الفترة الأخيرة.

---

(١) مكاتيب يورب ط مكتبة الإسلام لكهنؤ.

(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٩٧.

في أواخر عام ١٩٦٧م/ شعبان ١٣٨٧هـ سافر الشيخ إلى السعودية والتقى العلماء والأدباء والصحافيين وألقى محاضرة في نادي الوحدة الرياضي بعنوان: (ميزان الربح والخسارة)، حضرها أعيان مكة وأدباؤها.

وكانت له رحلة إلى الكويت بعد سنة كاملة في أواخر عام ١٩٦٨م/ شعبان ١٣٨٨هـ وهناك ألقى في جمعية الإصلاح الاجتماعي محاضرة جاء عنوانها هكذا:

«العالم العربي ليس في خطر من إسرائيل بل من ذلك الضمير الذي ترك عمله وتخلى عن مسؤوليته» (١).

وبعدها بسنوات بدأ رحلة في يونيو ١٩٧٣م/ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ واستمرت حتى أواخر أغسطس/ رجب من العام نفسه، تجول أثناءها في دول غرب آسيا: أفغانستان وإيران ولبنان والعراق والأردن، وكان الشيخ أبو الحسن الندوي ولمدة شهرين ونصف على رأس وفد قدمت له الدعوة من رابطة العالم الإسلامي للقيام بالإطلاع على أحوال البلدان الإسلامية والاطلاع على نشاطات الهيئات والمؤسسات العلمية، ودعم العلاقات بين بلدان العالم الإسلامي، بالإضافة إلى شرح الخدمات التي يمكن لرابطة العالم الإسلامي أن تقدمها، وقد سطر الندوي الرحلة بالعربية بعنوان (من نهر كابل إلى نهر اليرموك) جولة في غرب آسيا. وقام منظر نور عظيم الندوي ومولوي محمد أجمل أيوب، ونذر الحفيظ بترجمة أجزاء مختلفة من الرحلة إلى الأردية، وتفضل الشيخ أبو الحسن الندوي نفسه بمراجعة الترجمة، ولهذا جاءت الترجمة كالأصل تماماً تحمل روح المؤلف وأسلوبه الجميل وعطر عباراته وطيب تلميحاته.

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٩٧.

وكان للشيخ الندوي بعد عام من رحلته هذه رحلة إلى دبي وأبي ظبي وذلك في محرم من عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م وعاود زيارة هذه المنطقة مرة أخرى في ديسمبر عام ١٩٧٦م/ محرم ١٣٩٧هـ.

ثم كانت له أسفار متعددة إلى المغرب الأقصى وأمريكا وحضر ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر ،وعاود السفر إلى الكويت والإمارات، وتردد كثيراً على أرض الحرمين، هذا بالإضافة إلى أسفاره إلى البلاد المجاورة فكثيراً ما كان يذهب إلى الباكستان، كما سافر إلى سريلانكا [1] بدعوة من الجامعة النظيمية هناك، والهدف دائماً واحد لا يتغير وهو الدعوة إلى الإسلام وخدمة المسلمين في بلدان العالم.

الرحلة إلى البلاد العربية والإسلامية

(الدور الخامس ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ - ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ)

سافر الشيخ أبو الحسن الندوي في الفترة من سنة ١٩٨٤م إلى سنة ١٩٨٨م إلى عدد كبير من البلدان العربية والإسلامية وكذلك إلى عدد من بلدان أوروبا، وكان هدفه في جميع هذه الرحلات الدعوة إلى الله ودعم النشاط الدعوي لدى الجمعيات والمؤسسات الدينية في البلاد التي زارها، ورغم تقدم السن واعتلال الصحة أو كما يحلو له التعبير انحراف الصحة، كان دائماً يستجيب للدعوات الموجهة إليه، ولهذا تعددت أسفاره في هذه المرحلة ما بين بلدان آسيا وإفريقيا، فسافر إلى بنجلادش وباكستان وماليزيا والمملكة العربية السعودية واليمن والإمارات العربية المتحدة وتركيا ومصر والجزائر بالإضافة إلى سفره إلى إنجلترا.

---

(١) سافر عام ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ وزار الجامعة في بيروالا التي تبعد عن كولومبور ٣٤ ميلاً والتقى بمؤسس الجامعة الحاج محمد نظيم تاجر المجوهرات الشهير الذي أسس الجامعة على نفقته ولا يزال يقوم بنفقتها الباهظة.

ونستعرض هنا رحلاته إلى البلدان المذكورة طبقاً للترتيب الزمني كلما أمكن ذلك.

أ- بنجلادش (مارس ١٩٨٤م)

كان السبب المباشر لسفر شيخنا إلى بنجلادش هو تلبية دعوة وصلته من بعض الجامعات والمؤسسات الإسلامية في دكا العاصمة، بينما السبب الآخر كان كما يذكر الشيخ (تضميد جراح الشعب المسلم في بنغلادش بعد مأساة الانفصال) [١].

كان السفر في مارس ١٩٨٤م واستغرقت الرحلة عشرة أيام زار فيها الشيخ دكا العاصمة وشيتا كونغ وغيرها حتى وصل إلى حدود بورما، وركز نشاطه في رحلته هذه على إلقاء عدة محاضرات في عدد من الجامعات البنغالية.

ب - الأردن (إبريل ١٩٨٤م)

سبق للشيخ السفر إلى الأردن [٢]، إلا أن رحلته هذه المرة كانت بدعوة من مؤسسة تعليمية ثقافية، هي مؤسسة آل البيت التي كانت تعقد مؤتمراً في مجمع بحوث الحضارة الإسلامية دعي إليه الشيخ، ونال أثناء حضوره ترحيباً خاصاً[٣].

بقي الشيخ الندوي في الأردن ثمانية أيام زار خلالها كهف أهل الكهف في جبل الرجيب الذي يقع جنوب شرق عمان على بعد ثمانية أميال، ولم يشعر الشيخ بأي غربة أو وحشة نظراً لوجود أصدقائه من أمثال الأديب الأستاذ محمد إبراهيم شقرة والأستاذ رضوان دعبول صاحب مؤسسة

(١) في مسيرة الحياة ج٢ دار القلم دمشق ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص ٤٢ وما بعدها.
(٢) سافر إلى الأردن ثلاث مرات من قبل.
(٣) في مسيرة الحياة ج٢ ص ١٠.

الرسالة ودار البشير، وألقى الشيخ أبو الحسن الندوي كعادته عدة محاضرات وشارك في عدة ندوات في أماكن متفرقة [١].

ج- الرحلة إلى اليمن وتأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

تلقى الشيخ أبو الحسن دعوة من مكتب التوجيه والإرشاد واتحاد طلاب اليمن، ولهذا سافر الشيخ من الأردن إلى جدة، وبعد أداء العمرة وفي التاسع من مايو ١٩٨٤م التقى به وفد من الأدباء، وتحدثوا أو ناقشوا أمر تأسيس رابطة الأدب الإسلامي، وشرحوا أهدافها وعرضوا عليه دستورها وقوانينها على أن تعقد أول جلسة لها في لكهنؤ بعد دعوة الأدباء والكتاب من البلدان العربية والإسلامية.

وفي الرابع عشر من مايو سافر الشيخ من جدة إلى صنعاء، وهناك عبّر عن مشاعره واستقبال الناس له: (كنا في اليمن نشعر بهدوء وسكينة، وبعد ما استكمل المستقبلون الإجراءات الرسمية في المطار توجهوا بنا إلى المدينة، وإذا بهم قد أوقفوا السيارة في حي قديم يضم بيوتاً متواضعة، واستغربت لأن العادة أن الناس ينزلون الضيف في فندق محترم.. أو بيت من بيوت أحد الوجهاء.. وفتح الباب وخرج عالم على الطراز القديم، واستقبلنا ودخلنا البيت معه..) [٢] ودار الحديث بين الشيخ الندوي وصاحب البيت عن أسلوب الدعوة، وبعدها انطلقوا بالشيخ إلى فندق الحمد السياحي الذي كان في السابق قصراً للأمير علي).

ألقى الندوي خطاباً في جامعة صنعاء استمر ساعة ونصف [٣] ذكر فيه للطلاب قول رسول الله ﷺ لما جاءه وفد من اليمن:

---

(١) المصدر السابق ص ١٧/١٦ .

(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص ٣٥/٣٤.

(٣) انظر نص الخطاب في: نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان ط. دار الصحوة القاهرة ص١٥-٣٠ .

«أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية».

وبعدها ألقى الشيخ ثلاث محاضرات أخرى كما التقى بكبار مسؤولي الحكومة، وزار المناطق القريبة من العاصمة ولم يتمكن من السفر أبعد من ذلك نظراً لوعورة الطرق وصعوبة التنقل.

في اليمن شعر الشيخ الندوي بتخلف البلاد الحضاري فيما يخص الطرق ووسائل الرقي والمدنية النافعة نتيجة لتعمد أئمة اليمن إغلاق أبواب البلاد دون كل رقي حضاري ومدني معتقدين أن في ذلك مصلحة البلاد، وشعر الندوي أن الحكومة القائمة في ذلك الوقت تعمل جاهدة على تطوير البلاد، وقد لفت نظره في اليمن الطريقة الخاصة بلبس العمامة التي رآها أقرب إلى عادة العرب القدامى، وكذلك لفت نظره أيضاً حمل الخنجر الذي صار شعار اليمنيين لا يستثنى منه العلماء والمشايخ.

وزار الشيخ ثلاثة مراكز علمية قديمة باليمن: تعز وزبيد وحديدة، وتجول في هذه المدن الثلاث، وكانت عودته من اليمن إلى جدة في ٢١مايو، ومن جدة إلى كراتشي التي وصلها في ٢٣مايو.

د- باكستان

وصل الشيخ الندوي إلى باكستان قادماً من اليمن في ٢٣ مايو في رحلة سريعة وهناك في كراتشي ألقى عدداً من المحاضرات جمعها محمد ناظم الندوي ضمن كتاب الشيخ الندوي بعنوان (تحفة باكستان) وهو الكتاب الذي ضم خطب الشيخ ومحاضراته في باكستان[1]. ويذكر أن الشيخ له رحلات متعددة إلى باكستان وكثيراً ما كان يمر بها في طريق عودته إلى الهند فقد زارها في ٢٨ يونيو ١٩٨٦م[2].

(١) في مسيرة الحياة ج٢ ص ٤٢ وما بعدها.
(٢) نفسه ص ١٣٤.

هـ - المملكة العربية السعودية

سافر الشيخ الندوي إلى المملكة العربية السعودية عدة مرات في هذه الفترة وكان سفره بدعوة رسمية لحضوره الجلسة السنوية للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، سافر في ربيع الثاني عام ١٤٠٥هـ لهذا الهدف، وبعدها ألقى في نادي المدينة المنورة الأدبي محاضرة بعنوان (دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر) [١]، كما ألقى محاضرة في الجامعة الإسلامية وأخرى في نادي مكة الثقافي.

التقى الشيخ في سفره هذا بشخصيات هامة من المملكة العربية السعودية في حفلة أقامها له الشيخ عبد المقصود خوجه حضرها الشيخ عبد الله البغدادي والسيد علي حسن فدعق، والشيخ عبد الله بلخير، ووزع في الحفل كتابا الشيخ الندوي: (السيرة النبوية، ومختارات من الأدب العربي).

وتوجه الشيخ بعد ذلك إلى الرياض بعد أن تلقى دعوة من الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فزار الجامعة، وحضر أيضاً ندوة الشيخ عبد العزيز الرفاعي التي تعقد في الرياض، كما حضر جلسة استشارية لرابطة الأدب الإسلامي، ومكث الشيخ في الرياض أياماً عاد بعدها إلى الهند.

وفي ٨ صفر ١٤٠٨هـ/ ١١ أكتوبر ١٩٨٦م سافر الندوي إلى المملكة العربية السعودية لحضور المؤتمر العام الثالث للأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي العالمية، وكان موضوع المؤتمر تنشيط العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية في ضوء الواقع المعاصر وإرهاصات المستقبل، ورغم مرض الشيخ الشديد إلا أنه قرر السفر بعد أن جهز محاضرة بعنوان (الجبهات الحاسمة للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر ومجالاتها الرئيسية) [٢].

---

(١) نص المحاضرة في كتاب نظرات في الأدب، دار البشير، عمان/ الأردن، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٠٤ .
(٢) في مسيرة الحياة ج٢ ص ٢٠٨ وما بعدها.

وتحدث الشيخ الندوي عن ذكرياته في هذه الرحلة في كتابه (في مسيرة الحياة) مجلد ٢، وذكر التطور الحضاري الذي شهدته منطقة الحرمين، وقارن بين ما يشاهده الآن وما شاهده حين زار المنطقة سنة ١٩٤٧م/١٣٦٦هـ: (فلم يكن حينئذ أي شارع بين جدة والمدينة المنورة وكان سائقو الحافلات يسيرون بتقدير وتخمين، وكانوا في أيام الحر لا يتحركون وقت الظهر، وكانت تشترى تنكات المياه بجدة ومكة للشرب والوضوء والغسل.. وإن من قلة الشكر وكتمان الحق أن لا يعترف بهذه الثورة العظيمة ومأثرة الحكومة السعودية مع التوجيهات المخلصة والنقد المخلص والتمنيات الطيبة والآمال المعقودة والتذكير بالمسؤوليات الجسيمة في تأمين البلاد والحجاج).

وفي أثناء هذه الرحلة حضر الشيخ جلسات رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي عقدت في المدينة المنورة، كما ألقى خطاباً في جدة في اليوم التالي [١].

وفي العام التالي وفي نوفمبر ١٩٨٧م/ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ تلقى الشيخ الندوي دعوة من أمانة رابطة العالم الإسلامي لحضور الجلسة السنوية لمجلسها التأسيسي، وكانت رحلته تلك قصيرة جداً إلا أن الشيخ التقى فيها بمعالي الشيخ محمد صالح القزاز أمين عام رابطة العالم الإسلامي الأسبق الذي اعتزل الناس وانقطع للعبادة، ثم ألقى الشيخ الندوي سلسلة محاضرات بالعربية والأردية في جدة [٢].

و - الجزائر

بعد رحلة من رحلات الشيخ الندوي إلى أوروبا التي سافر فيها لحضور جلسة المركز الإسلامي بأكسفورد توجه إلى الجزائر لحضور ندوة الملتقى

(١) انظر ملخصه في المصدر السابق ص ٢١٨/٢١٩.
(٢) في مسيرة الحياة ج٢ ص ٢٤٧ .

الإسلامي الذي عقد لمناقشة موضوع (الإسلام والعلوم الإنسانية) وكما هو واضح كان هدف الرحلة المشاركة في المؤتمر، وقد ألقى الشيخ محاضرة عن دور الإسلام الثوري البناء في مجال العلوم الإنسانية، وذلك في مدينة سطيف الجزائرية [١].

ز- رحلة عابرة إلى مصر

لم يكن سفر الندوي إلى مصر سفراً مقصوداً بل كان ضرورة فرضها خط سير الرحلة ونظراً لتأثر الأديب بالساعات التي قضاها في مصر رأينا إثبات مشاعره هنا:

«وصلنا القاهرة... وهكذا وضعت قدمي على أرض مصر بعد مرور ٣٥ أو ٣٦ سنة فقد كنت زرتهاعام ١٩٥١، ووقع بصري على لافتة على واجهة المطار كتب عليها الآية القرآنية: ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ [٢] ولعله لا يوجد بلد في الدنيا يناسب مدخله هذه اللافتة إلا مصر، ولكننا لم نجد من المسؤولين والموظفين في المطار بالقاهرة من المعاملة ما كانت توصي به الآية الكريمة.. كان الموظفون يؤثرون التكلم بالإنجليزية على التكلم بالعربية، وإذا سئلوا عن شيء جاء منهم رد قانوني جاف، ولا مكان للراحة والاستجمام، ولا تسهيلات للوضوء والصلاة، وإذا توجهنا بالسؤال إلى أحد ردوا علينا بأن انتظروا إقلاع الطائرة، وهكذا قضينا ساعات من الحادية عشرة حتى الساعة السادسة مساء، وكان التاريخ غرة محرم / السادس من سبتمبر، وقد غادرنا مصر وقت المغرب ووصلنا في العشاء إلى جدة حيث شعرنا كأننا وصلنا إلى وطننا»[٣].

---

(١) انظر موجز المحاضرة في المصدر السابق ص ١٣٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٩ .

(٣) في مسيرة الحياة ج٢ ص ١٣٧.

ح - تركيا (١٩ يونيو ١٩٨٦م)

بدأت رحلة الندوي إلى تركيا في ١٩ يونيو ١٩٨٦م برفقة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي، وذلك لحضور المؤتمر الثاني للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وهناك التقى الشيخ بأصدقائه القدامى من العرب والأتراك، وأوضح الشيخ في كتابته عن رحلته هذه نجاح الأدب الإسلامي والفكرة الإسلامية في تركيا.

بعيداً عن الجلسات العلمية والأدبية قام الشيخ برحلة ترفيهية استطلاعية زار فيها مدينة (بورصة) عاصمة العثمانيين الأولى. كما زار قبلها ساحل خليج البوسفور وزار بعض المباني التاريخية والأثرية وأوضح الشيخ الندوي الاتجاه الديني والنهضة العلمية الإسلامية في تركيا:

«وصلنا بورصة.. هناك مدرسة الوعاظ والخطباء في مدارس لتحفيظ القرآن في عدد لا بأس به، وقيل إن حوالي ألف طالب يحفظون القرآن الكريم في هذه المدارس بمدينة بورصة ويوجد عدد كبير في هذه المدينة من المجاهدين البلغاريين الذي فروا بدينهم من بلغاريا..» (١).

ط - الرحلة إلى ماليزيا (أبريل ١٩٨٧م)

الرحلة إلى ماليزيا تختلف عن بقية رحلات الشيخ، وهو بنفسه يشير إلى هذا الأمر:

«إن اتجاه رحلات المؤلف في أكثر الأحيان كان إلى الشمال والغرب.. وقد سافرت مرة إلى سيريلانكا جنوباً وإلى بورما وبنغلادش شرقاً... أما ماليزيا فهي جغرافياً تختلف عن هذه المناطق، ولا شك أن عدداً من شباب ماليزيا قد تخرج من دار العلوم ندوة العلماء، كما أن فيها أيضاً بعض شباب

(١) المصدر السابق ص١٢٣.

إندونيسيا ممن تخرجوا أيضاً من الندوة واختاروا البقاء في ماليزيا. وقد اتصل هؤلاء بحركة الشباب المسلم القوية النشيطة وهي تعمل في مجال الدعوة الإسلامية..» [١].

وهكذا وجد الشيخ الندوي حفاوة كبيرة حين زار ماليزيا ليس فقط من هذه الجماعة سابقة الذكر بل أيضاً من المنظمات الإسلامية الأخرى كالحزب الإسلامي وأصحاب جماعة الدعوة والتبليغ.

رافق الشيخ في رحلته محمد الرابع الحسني الندوي والسيد غلام محمد الحيدر آبادي الذي كان يعمل بمطار جدة سابقاً، وسافر الثلاثة في الثاني من أبريل ١٩٨٧م، ونزلوا إلى مطار كوالالمبور حيث استقبلهم الدكتور عبد الرؤوف المصري نائب مدير الجامعة الإسلامية، وعدد من الإخوة وممثلون عن الجهات والمنظمات المختلفة.

ووجد الشيخ الندوي فرصة للسفر إلى ترنكانو الولاية الشمالية الشرقية حيث يوجد الداعية الفاضل الشيخ عبد الهادي الحاج أونج من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهناك ألقى الشيخ محاضرة بالعربية ترجمها الشيخ عبد الهادي إلى الماليزية وكان عنوان المحاضرة (إلى الإسلام من جديد) [٢].

زار الشيخ الجامعة الوطنية في كوالالمبور وألقى فيها محاضرة واستقبله أساتذة كلية الشريعة، كما ألقى محاضرة في جامعة العلوم والتقنية ومحاضرة أخرى في قاعة تنكو عبد الرحمن الكبيرة. وسافر بالطائرة إلى غرب ماليزيا إلى بلدة (قدح) حيث أقيم حفل للشيخ في ساحة واسعة بمناسبة وضع حجر الأساس للمعهد العالي للدعوة وهو قسم من أقسام المعهد الديني بها.

---

(١) في مسيرة الحياة ج٢ ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨ .

في ماليزيا كان للشيخ لقاءات عديدة من أهمها تلك اللقاءات التي جرت مع مسؤول حركة الشباب المسلم والسبب كما ذكر هو أنه:

«يؤمل فيهم في مجال الدعوة القوية المؤثرة وتطبيقها على الحياة والمجتمع تطبيقاً عملياً في خضم التحديات الحاضرة».

وفي آخر أيام الرحلة (٨ أبريل) زار الشيخ الندوي الجامعة الإسلامية العالمية، وألقى محاضرة في مركز الحزب الإسلامي مباشرة قبل ذهابه إلى المطار، وكانت عودته في التاسع من أبريل عام ١٩٨٧م إلى مدراس بالهند ومنها إلى دهلي العاصمة.

ي - الإمارات العربية المتحدة

في نوفمبر ١٩٨٧م/ربيع الآخر١٤٠٩هـ ومن مدينة جدة سافر الشيخ أبو الحسن الندوي إلى الإمارات العربية المتحدة تلبية لدعوة رسمية تلقاها من المسؤولين هناك، وقد زار الشارقة وألقى عدة محاضرات في أماكن متفرقة[1].

الرحلة إلى أوروبا

(١٩٨٥م-١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م-١٤٠٨هـ)

سافر الشيخ كما ذكرنا قبل إلى أوروبا وأمريكا، وها هو في أكتوبر عام ١٩٨٥م/ صفر ١٤٠٦هـ يسافر إلى إنجلترا لحضور حفل افتتاح المركز الإسلامي بجامعة أكسفورد ولوضع خطة الضوابط والمناهج لهذا المركز.

وقد انتهز الشيخ الفرصة فسافر إلى لندن ومن لندن سافر إلى لوكسمبورج لحضور جلسة إدارية للمجمع العالمي للبحوث والدراسات

(١) انظر ملخص محاضرته في أبو ظبي وموضوعها (ترشيد الصحوة الإسلامية) في مسيرة الحياة مجلد٢ ص٢٥٢ وما بعدها.

الإسلامية [١] وهناك التقى الشيخ الندوي بالمرحوم الدكتور إسماعيل الفاروقي رئيس الدراسات الإسلامية في قسم الديانات بجامعة تمبل بفلادلفيا، كما التقى بالدكتور سعيد رمضان الذي قدم للقائه من جنيف.

وفي العام التالي أغسطس ١٩٨٦م/ محرم ١٤٠٧هـ سافر الشيخ ثانية لحضور الجلسة الإدارية للمركز الإسلامي في أكسفورد. وتكرر ذلك أيضاً في أغسطس عام ١٩٨٧م/ صفر ١٤٠٨هـ وذلك رغم مرضه الشديد، وكان قد أعد محاضرة عن موضوع يتعلق بالإسلام وموقفه من العلم (دور الإسلام التاريخي في نشر العلم النافع الصحيح وقيادة البشرية وإصلاحها عن طريقه) وقد التقى في لندن بالدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الله عمر نصيف، وكان قد حضر اللقاء كل من الدكتور كامل الباقر رئيس جامعة أم درمان الإسلامية سابقاً والشيخ عبد العزيز علي المطوع أحد أصحاب العلم والفضل في الكويت.

(١) ذكر الندوي في كتابه في مسيرة الحياة (ج٢ ص٨٠) أن بعض فضلاء العرب يتقدمهم الأستاذ جمال الدين عطية، قد أقاموا في لوكسمبورج (المجمع العلمي للدراسات الإسلامية) واختاروه رئيساً له وقرروا عقد جلسته في أكتوبر بعد حفلة افتتاح المركز الإسلامي المشار إليه أعلاه .

أهم مصادر البحث

أولاً: مؤلفات الشيخ أبي الحسن علي الندوي:

١- في مسيرة الحياة ج١. دار القلم دمشق ط أولى ١٩٨٧م.

٢- في مسيرة الحياة ج٢. دار القلم دمشق ط أولى ١٩٩٠م.

٣- الصراع بين الإيمان والمادية. ترجمة مولوي محمد الحسني. دار القلم الكويت ١٩٧١م.

٤- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية. دار الفكر، بيروت ١٩٦٥م.

٥- إذا هبت ريح الإيمان. (تاريخ المجاهد سيد أحمد شهيد) دار عرفات، الهند.

٦- الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها. المجمع الإسلامي العالمي، ط٣، ١٩٨٦م.

٧- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب. دار عرفات. الهند.

٨- الطريق إلى المدينة، ط الخامسة، لكهنؤ، ١٩٨٧م.

٩- الإمام الذي لم يوف حقه. المجمع الإسلامي العلمي، لكهنو ١٩٨٩م.

١٠- روائع إقبال. ط، بيروت.

١١- صورتان متضادتان في الإسلام. طبع البحث ضمن مقدمة كتاب الشيخ منظور النعماني الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم ط دار الصحوة بالقاهرة.

١٢- رسائل الأعلام، ط دار الصحوة القاهرة.

١٣- تعمير إنسانيت، مجلس نشريات إسلام كراجى (محاضرات طبعت مترجمة إلى العربية تحت عناوين متفرقة ثم صدرت بعنوان رسالة الإنسانية).

١٤- معركة إيمان وماديت (ترجمة محمد الحسني الندوي). مجلس نشريات اسلام كراجي ١٩٨٢.

١٥- مسلم ممالك مين إسلاميت أورمغربيت كي كشمكش. مجلس نشريات إسلام كراجي ١٩٨١م.

١٦- حبب إيمان كيبهار آتي. مجلس نشريات إسلام كراجى.

١٧- مغرب سي كجه صاف صاف باتين. مجلس نشريات إسلام كراجي ط٢ ١٩٧٩م.

١٨- ابنى كهرسى بيت الله تك. ط لكهنؤ ١٩٩٠م.

١٩- دريائى كابل سى درياني يرموك تك ط لكهنو ١٩٩٠م كراجى.

٢٠- نقوش إقبال. ط كراجى.

٢١- شرق أوسط مين كى كيا. مكتبه تعليمات لكهنؤ ١٩٥٣.

٢٢- تركى مين دو مفتى. مكتب اسلام لكهنؤ ١٩٥٦.

٢٣- عالم عربي كاالميه. مجلس نشريات اسلام كراجى ١٩٨٠م.

٢٤- نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان، ط دارة الصحوة. القاهرة.

٢٥- نظرات في الأدب، دار القلم. دمشق، دار البشير. عمان.

ثانياً: مصادر أخرى:

أنور سديد (دكتور)

obeikandl.com

٢٦- اردو ادب مين سفرنامه. مغربي باكستان/ اردو اكيدمى لاهور ١٩٨٧.

حسين نصار (دكتور)

٢٧- أدب الرحلة. ط مكتبة لبنان (بدون تاريخ)

خالد محمود (دكتور)

٢٨- اردوسفرنامون كاتنقيدي مطالعه. دهلى ديسمبر ١٩٩٥م.

سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور)

٢٩- الأدب الأردي الإسلامي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٢م.

٣٠- إقبال والعرب. دار السلام بالرياض ١٩٩٣م.

٣١- صدى سقوط الأندلس والأدب الأردي. تحت الطبع. مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض.

٣٢- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (صدر عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

عبد الرحمن الباني

٣٣- أعلام الإسلاميين في التربية.

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي، قائمة آثاره العلمية ومؤلفاته بالعربية. ورقة أعدها الأستاذ عبدالرحمن الباني ١٤١٦هـ.

ثالثاً - الدوريات:

- مجلة البعث الإسلامي مجلد ١٢٩ جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ .

- قومي دائجست عدد خاص بالحج لاهور.

obeikandl.com

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
- كلمة المؤلف	١٦٧
- الشيخ أبو الحسن علي الندوي: مولده وتعليمه	١٧٠
- حياته العملية وأسفاره	١٧١
- أدب الرحلة ومكانته بين مؤلفات الشيخ أبي الحسن الندوي	١٧٣
- الشيخ أبو الحسن الندوي وأدب الرحلة	١٧٦
- دراسة نقدية تحليلية لأدب الرحلة عند الشيخ الندوي	١٧٨
الرحلة الحجازية	١٨٢
● الرحلة الأولى	١٨٢
● أهداف الرحلة الحجازية الأولى	١٩٠
● الرحلة الحجازية الثانية	١٩٢
● انطباعات الشيخ أبي الحسن الندوي في رحلته الثانية	١٩٢
الرحلة إلى البلدان العربية (الدور الأول)	١٩٤
أ- الرحلة الأولى إلى مصر والسودان	١٩٤
ب- الرحلة الأولى إلى الشام	١٩٨
ت- الرحلة إلى فلسطين	١٩٩
ث- خاتمة الرحلة إلى البلدان العربية (الدور الأول)	٢٠٠
جـ - الانطباع الأخير للشيخ الندوي عن سلسلة رحلاته إلى البلاد العربية	٢٠٠
الرحلة إلى البلدان العربية وتركيا (الدور الثاني)	٢٠١
أ - الرحلة إلى لبنان	٢٠٢
ب - الرحلة إلى تركيا	٢٠٣
جـ - الرحلة إلى بغداد	٢٠٥

obeikandl.com

الرحلة إلى بورما والكويت وجزيرة العرب (الدور الثالث) ٢٠٦
أ - إلى بورما ٢٠٦
ب - إلى الكويت ٢٠٧
جـ - إلى السعودية، رحلات متفرقة داخل الجزيرة العربية ٢٠٩
رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي إلى أوروبا ٢١١
أ - الرحلة الأولى ٢١١
ب - الرحلة الأندلسية ٢١٢
جـ - الرحلة الثانية إلى أوروبا ورحلاتة الأخرى ٢١٤
رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي عام ١٩٦٧م ١٣٨٧/ هـ
١٩٨٢م/١٤٠٢ هـ (الدور الرابع) ٢١٤
الرحلة إلى البلاد العربية والإسلامية ١٩٨٤م/١٤٠٤ هـ
١٩٨٨م/١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م/١٤٠٨ هـ (الدور الخامس) ٢١٦
أ - بنغلادش ٢١٧
ب - الأردن ٢١٧
ت - الرحلة إلى اليمن وتأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ٢١٨
جـ - باكستان ٢١٩
د - المملكة العربية السعودية ٢٢٠
هـ - الجزائر ٢٢١
و - رحلة عابرة إلى مصر ٢٢٢
ز - تركيا ٢٢٣
ح - الرحلة إلى ماليزيا ٢٢٣
ط - الإمارات العربية المتحدة ٢٢٥
الرحلة إلى أوروبا (١٩٨٥م - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م - ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م - ١٤٠٨هـ) ٢٢٥
مصادر البحث ٢٢٧
محتويات البحث ٢٣٠

obeikandl.com